

## The Elements of the vision of the Death in the mamluk poetry

### عناصر صورة الموت في الشعر المملوكي (العناصر الحسية أنموذجاً)

م.م. علي صاحب عيسى  
كلية التربية الأساسية / جامعة ميسان

#### ملخص البحث:

يتناول هذا البحث موضوع (عناصر صورة الموت في الشعر المملوكي (العناصر الحسية أنموذجاً))، وتعد هذه الدراسة حلقة من حلقات البحث في شعر العصر المملوكي، فما زال الأدب العربي في عصر المماليك يشكو ندرة الدراسات وقلة الأبحاث، وما الدراسات التي صدرت إلا لمحات خاطفة أو نظرات عابرة لم تعط الصورة الحقيقية للأدب العربي في هذا العصر.

وبالعودة لموضوع البحث، فالموت ظاهرة إنسانية وجدت مع الحياة نفسها ولكن الموقف منه يتخذ أشكالاً شتى تبعاً لعوامل عديدة بيئية ونفسية. ولعل استنثار الشعراء جلمهم بتصوير هذه الظاهرة إنما كان يتضمن إدراكاً باطنياً لهذه الخاتمة التي تلاحقهم. وهذا البحث لا يبتغي الشروع في مختلف الدراسات الكثيرة التي تناولت مفهوم الموت فحسب؛ إذ تحددت الدراسة في تناول عناصر صورة الموت في الشعر المملوكي، من خلال الوقوف عند عناصر الموت الحسية، وما فيها من نسيج متماسك من الكلمات والألفاظ. قام البحث على مهاد نظري، وخمسة محاور وهي:

- 1- الفقد.
- 2.الفقر.
- 3.القبر.
4. الشيب.
5. الخراب.

#### Abstract:

This research deals with the subject of (an image of death in the hair Mamluk elements (sensory elements model)), and the longer this study cycle of seminars in the poetry of the Mamluk era, what Arab literature is still in the era of the Mamluks complain about the scarcity of studies and the lack of research and studies that have been issued only a brief profiles or transient reviews true picture of Arab literature has not given in this day and age. Returning to the subject of research, death is a human phenomenon found with life itself but the attitude it takes a variety of forms depending on many factors, environmental and psychological. Perhaps the monopoly of poets mostly filmed this phenomenon but it includes inwardly aware of this conclusion, which pursued.

This research is not who wants to proceed in many different studies that have only dealt with the concept of death; as defined in the study dealt with the elements of the image of death in the hair Mamluk, by standing at the sensory elements of death, and what they coherent tapestry of words and speaking. The research on my mulch, and five axes, namely:

1. loss.
- 2.fiqr.
- 3.alcypr.
4. graying.
5. ruin.

#### المقدمة :

الحمد لله رب العالمين، الذي بالأدب كمل فضيلة الإنسان، أحمده على مجموع فضله، وأشكره على جزيل نعمه، وأصلي وأسلم على فخر الرسل وهادي السبل محمد الصادق الأمين، وعلى آله وصحبه، ومَن والاه بإحسان إلى يوم الدين. وبعد...

الموت نهاية كل حيٍّ مهما طال به البقاء، ولعله الحقيقة الوحيدة التي اتفقت عليها الناس جميعاً على اختلاف ألوانهم وأعرافهم ومعتقداتهم وأجناسهم ودياناتهم لذلك نجد الناس جميعاً يفكرون بالموت بشكل ما، وإن اختلفت نظراتهم إليه. وحينما يأتي الموت لإنسان فهو لا يميز بين غني وفقير، بين عالم أو جاهل، بين شاب أو شيخ، رجل أو امرأة ... إلخ. وقد أخذ الموت جدلاً بين الناس، وكان مورد قلق الإنسانية الأكبر.

وفي هذا الصدد يُعد تصوير الموت قيمة وجودية رائعة، والصورة الشعرية عنصر أساسي في بناء الشعر؛ إذ لها أهميتها في نقل تجربة الشاعر نقلاً صادقاً، فتعددت صور الموت عند الشعراء، بسبب تعدد انفعالات الشعراء تجاه الموت، وهنا تأتي الصورة الشعرية لتعبّر عن تلك المشاعر أو الانفعالات، من خلال التأثير في المتلقي، ومن أجل تقديم صور حسية مؤثرة في النفس البشرية، أستعمل الشعراء البيان والبديع في شعر الموت.

هذا وقد حفلت عناصر صورة الموت بألفاظٍ وتعبيراتٍ، استقاها الشعراء من الموروث القديم، مما أضفت قيمة فنية على أشعارهم.

والشاعر المملوكي وقف عند هذه العناصر الحسية، وأخذ يضيف إليها من ثراء فكره ورهافة حسه تأملات في هذه الصور. إن موضوع الموت في شعر المماليك جدير بالدراسة؛ إذ بدأ واضحاً بجلاء في شعرهم، وبكونه خير أداة معبرة عن طبيعة عصرهم، فهو عصر مضطرب يعج بالمتناقضات ويبحث على القلق والرغبة والطمع والرغبة. لذا فقد جاء هذا البحث ليميط اللثام عن عصر فيه جوانب مشرقة وقبسات متوهجة جديدة بالرعاية والعناية من لدن الدارسين لإبرازها وربطها بالحلقات الذهبية السالفة في تراثنا الشعري الضخم. يبيد أن الباحث يعتمد في هذه الدراسة على المنهج التحليلي، محاولاً إبراز مواقف الشعراء من حقيقة الموت، مع استشفاف الملامح الفنية في صورة الموت.

ويقصد الباحث بالفقد ما يترتب من آثار على الفقد، أما الفقر فهو من عناصر الموت الحسية؛ لأنه يقود إلى الفاقة والعوز، وهذا بحد ذاته موت معنوي إن لم يؤدي إلى الموت الجسدي، أما القبر ونعني به الألفاظ الدالة على الموت، ويمثل مرحلة أخرى للميت بعد موته، وقد جاء الشيب بمعنى المعادل الموضوعي لموت الإنسان، وهو نذير الموت، وفي القرآن الكريم، قال تعالى: {وَمِنْكُمْ مَنْ يَتُوفَى وَمِنْكُمْ مَنْ يَرُدُّ إِلَى أَرْذَلِ الْعُمُرِ} (الحج:5)، وقد ورد في الموروث العربي القديم أيضاً، أما الخراب فهو المصطلح الأوسع للموت؛ لأن الخراب موت كل شيء، موت الإنسان وعناصر الطبيعة، وأرى أن التماسك بين هذه العناصر قد حصل، بجامع أنها تشي كلها برائحة الموت المعنوي والجسدي معاً، فالتماسك بين هذه العناصر يؤدي إلى صورة الموت، وهو يجمعها الموت والفناء. مهاده نظري:

**الموت صنو الحياة، وقربنها الأزلي، وقد جاء في كلام العرب يُطْلَقُ عَلَى السُّكُونِ؛ يُقَالُ: ماتت الریحُ أَي سَكَتَتْ. قال: والموت يقع على أنواع بحسب أنواع الحياة: فمنها ما هو بإزاء القوة النامية الموجودة في الحيوان والنبات، كقوله تعالى: {يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا} [الروم/19]، ومنها زوال القوة الحسية، كقوله تعالى: { يَا لَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَذَا} [مريم/23] ومنها زوال القوة العاملة، وهي الجهالة، كقوله تعالى: {أَوْ مَنْ كَانَ مَيِّتًا فَأَحْيَيْنَاهُ...} [الانعام/122]، ومنها الحزن، والخوف، المُكَدَّرُ للحياة، كقوله تعالى: {وَيَأْتِيهِ الْمَوْتُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ} [ابراهيم/17]، ومنها المنام، كقوله، تعالى: {وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا} [الزمر/42] وقد قيل: المنام: الموت الخفيف، والموت: النوم الثقيل؛ وقد يُستعار الموت للأحوال الشاقة: كالفقر والذل والسؤال والهزم والمعصية، وغير ذلك... (1)**

وقد قيل في الموت إن " الموت موتان: موت إرادي، وموت طبيعي، وكذلك الحياة حياتان: حياة إرادية، وحياة طبيعية. عنوا بالموت الإرادي اماتة الشهوات، وترك التعرض لها، وعنوا بالموت الطبيعي مفارقة النفس البدن، وعنوا بالحياة الإرادية ما يسعى له الإنسان في حياته الدنيا من المآكل، والمشارب والشهوات، وبالحياة الطبيعية بقاء النفس السرمدي في العبطة الأبدية بما تستفيد من العلوم الحقيقية، وتبرأ به من الجهل... " (2)

وبطبيعة الحال فإن الموت النهائية لكل حي مهما طال به البقاء؛ بل هو الحقيقة التي يتفق عليها الناس جميعاً، على الرغم من الاختلاف في عقائدهم ومذاهبهم، والاختلاف أيضاً على ما بعد الحياة الدنيا من حياة أخروية أو عدم، فالناس جميعاً يفكرون بالموت بشكل ما؛ لكن طريقة تفكيرهم ونظراتهم إليه مختلفة (3). لذلك فالموت لا يد منه؛ لأنه شيء حتمي، "وما الموت إلا حد للحياة، هو الصورة التي تلبسها الحياة وتحطمها من بعد" (4)، أو الموت نهاية حياة دنيا الإنسان، فهو لا يمكن أن يستعيدها مثلما كانت سابقة أو مشابهة بما كانت (5).

فالإنسان يهرب من الموت ويطلب الحياة؛ لأن الحياة لديه تمثل الاستمرارية في البقاء، فهو يتعلق بها ويريد أن يحيا أبداً (6). إن كل إنسان يعلم أن الموت حق وأنه واقع لا محالة؛ لكن النظرة إلى الموت هي التي تحدد النظرة إلى الحياة؛ لأن الأمور تعرف بعواقبها، فالموت "جزء من الحياة وانه ليس مضاداً لها، فلكني تكون النظرة إلى الموت صحيحة يجب أن نجعل الموت جزءاً من الحياة" (7).

هذا، وينماز الإنسان بحالة الخوف من المجهول أو القلق من الموت، فهو يدرك تماماً أن وجوده سوف يفنى ويموت عاجلاً أو آجلاً دون معرفة الزمان والمكان، وقد عرف (تمبلر) قلق الموت بأنه "حالة انفعالية غير سارة يعجل بها تأمل الفرد في وفاته هو. كما يعرفه (هولتر) بقوله: إنه استجابة انفعالية تتضمن مشاعر ذاتية من عدم السرور والانشغال المعتمد على تأمل أو توقع أي مظهر من المظاهر العديدة المرتبطة بالموت" (8).

لذا فإن قلق الإنسان من الموت صار قلقاً لا سبب له سوى الوجود نفسه، وهو المرض الميتافيزيقي الذي لا علاج له، بل هو لعنة التناهي التي تحل بالإنسان منذ الولادة، وكانما كتب عليه الموت لمجرد أنه ولد (9). إذ، ما دام الموت حتماً يبقى اللغز الأكثر قلقاً وحيرة الذي شغل ذهن الإنسان، بمعنى " إن الموت سر لا يكاد ينفصل عن صميم وجودنا ما دام وجودنا وجوداً زمانياً متناهِياً يسير حتماً نحو الفناء. وعلى الرغم من أن الموت هو الحقيقة الوحيدة التي لا يرقى إليها الشك، إلا أنه في الوقت نفسه السر الوحيد الذي هيئات للعقل البشري أن يتمكن يوماً من إمطة اللثام عنه" (10).

وليس من شك في أن الشاعر المملوكي قد ركز على تصوير الموت في شعره، فجاءت صورته تستمد بشكل عام من مظهر الحياة، ولهذا فالصورة هي أداة الشعر وسيلة التعبير، فضلاً عن ذلك فالصورة عنصراً مهماً في عملية الخلق الفني الشعري، وهي الأداة التي تتربع على سائر الأدوات الشعرية، والصورة "تشكيل لغوي، يكوّن خيال الفنان من معطيات متعددة، يقف العالم المحسوس في مقدمتها. فأغلب الصور مستمدة من الحواس، إلى جانب ما لا يمكن إغفاله من الصور النفسية والعقلية وإن كانت لا تأتي بكثرة الصور الحسية، أو يقدمها الشاعر أحياناً كثيرة في صور حسية" (11).



ويقف الشاعر المملوكي عند فقد الولد، مصوراً حرارة القلب التي لن تنطفي.

قال أبو الحسين الجزّار (ت 679هـ):

[البسيط]

من بعد فقدك قل لي كيف اضطبر  
يا من أقام بجنّات النعيم وفي  
والحزن عندي لا يبقى ولا يدّر  
قلبي عليه لهيب النار يستعر<sup>(24)</sup>

ومن هذه الصور لفقد المرء وقد ناحت عليه شجر الأراك مع الحمام وحزنت، قول مجير الدين بن تميم (ت 684هـ):

[الكامل]

ناح الحمام على قوامك إذ نوى  
ولفقد قدك قد غدا من حزنه  
تحت التراب وقد حواه ضريح  
شجر الأراك مع الحمام ينوح<sup>(25)</sup>

وفي فقد الملك الصالح بيبرس، يصور الشاعر تلك الفجيعة التي حلت بالمسلمين؛ إذ بكى عليه المسلمين قاطبة؛ بل الدنيا في غيبته قد ذهلت وإصابها الدهشة.

قال ابن النقيب الفقيسي (ت 687 هـ):

[الكامل]

فعايبك بيكي المسلمون وبأسف الـ  
مال لي أراك أطلت غيبة غائب  
إسلاماً والدنيا لفقدك تذهل  
ما يرتجى منه كتاب يرسل<sup>(26)</sup>

وفي انتقال صاحب الشفاعة، وسيد الكونين، نبي الساعة، والرسول الحبيب ﷺ، إلى الرفيق الأعلى، يصور الشاعر المملوكي فقدته، ذاكرةً مكانته الغالية في أعماق النفس، واصفاً شدة حزنه وتأسفه على فقدته.

قال البوصيري (ت 696 هـ):

[المديد]

يا حبيباً وشقيقاً مطاعاً  
لم نقل فيك مقال النصاري  
حسبنا أن إليك الإيابا  
إذ أضلوا في المسيح الصوايا<sup>(27)</sup>

وعند فقد ملك حماة الملك المنصور، والبلاد الإسلامية تحت إمرة السلطان المملوكي المنصور قلاوون، صور الشعراء فقد الملك المنصور بالجبل الشاهق الذي يهوي على الأرض، مصورين صفاته النبيلة وتعداد خصاله، ومخاطبين ملوك الخافقين بالبكاء على مصابه، مع بيان حالهم لحظة توديعهم للملك، الذي تحطفه الموت فقد بكته السيوف وناحت عليه السمهرات.

قال شهاب الدين العزازي (ت 710 هـ):

[الطويل]

هوى جبل اللحم الذي كان شاهقاً  
ليبك ملوك الخافقين مصابيه  
أضاع بني الأمال موت محمّد  
بكنة السيوف المشرفيات فطعاً  
أيا موت أتمت العفاة بفقده  
وشعب العلى والمكرمات تصدعا  
فقد كان أرواهم غماماً وأمرعا  
على أن دهرأ غاله كان أضيعا  
وناحت عليه السّمهرات شرعا  
وغادرت ربع الأريحية بفقده<sup>(28)</sup>

أما صفي الدين الحلّي (ت 750 هـ)، فقد ذرفت عيونه لفقد خاله جلال الدين عبد الله بن حمزة بن محاسن؛ إذ كان حصناً مانعاً يلتجؤون به احترازاً من العدى، فضلاً عن أنه كعبة في أيام حياته يلاذ بها، بقوله:

[الطويل]

شموس أراننا الموت في التراب كسفها  
لقد كنت حصناً مانعاً بك نلتجي  
فإن كنت في أيام عيشك كعبة  
وأنزف من حزني دمي لا مدامعي  
وما خلث أن الشمس في التراب تكسف  
جدار العدى واليوم باسمك نحلّف  
ببلاد بها فاليوم ذكرك مصحف  
وأى دم أبقيت في فين زرف<sup>(29)</sup>

وكذلك صور صلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي (ت 764 هـ)، صورة فقد الصديق، واصفاً حزنه لحظة فراقه وتوديعه، قائلاً:

[مجزوء الرجز]

يياراحلاً عننا وقد      أسير الحشبا منبا وعني  
الله كم قد عز فيك      عزاً وحزناً فيك حزناً<sup>(30)</sup>

وقد يتحدث الشاعر في العصر المملوكي عن فقد الزوجة، مصوراً تلك المصيبة على النفس؛ إذ ماتت ودفنت في التراب كالذهب الخالص، باكياً على الأيام وعلى مصيرها في باطن الأرض، متوجهاً بالشكوى يوم فقدتها إلى الخالق الباري عز وجل.

[الطويل]

قال ابن نباتة المصري (ت 768 هـ):

وكيف أعاني سجة أو قرينة      وقد فقدت مني أجل القرائن  
ثوت في مهاوي الترب كالتبر خالصة      فحقت أن الترب بعض المعادن  
دفنتك يا شخص الحبيب وقد بدا      لعينك حالي قلبت إنك دافني  
كلانا على الأيام بياك وإنما      أشد البلا بين الحشا كل كامن  
إلى الله أشكو يوم فقدك أنه      علي ليوم الحشر يوم التغابن<sup>(31)</sup>

ومن صور الفقد الحسية ما قاله عويس العالية (ت 807 هـ)؛ إذ صور فقد القاضي بدر الدين بن فضل الله كاتب السر، وأخيه القاضي عز الدين حمزة اللذين وافتهم المنية عام (797 هـ)، بقوله:

[الوافر]

قضى البدر بن فضل الله نحبا      ومات أخوه حمزة بعد شهر  
فلا تعجب لذي الأجلين يوماً      فحمزة مات حقاً بعد بدر<sup>(32)</sup>

وفي عام (798 هـ) فقد ابن حجر العسقلاني (ت 852 هـ) شقيقته (ست الركب)؛ لذا فقد ذرفت الدموع بغزارة عليها، وهو يصور خصائلها الحميدة، واصفاً ما تنماز به من صفات، ويلحظ أن ابن حجر يتكئ على تكرار المفردة (بكيث) أكثر من مرة بشكل رأسي متتالي، ليؤكد حالة الحزن الشديد التي يكابدها؛ إذ يقول:

[الطويل]

بكيث على جلم وعلم وعفة      تُقارن مع عز الهدى هزة الطرف  
بكيث على العصن الذي اجثت أصله      ولم اجن من أزاره ثمر القطف  
بكيث على البدر المنقل للنوى      ولكنة ما زال في القلب والطرف<sup>(33)</sup>

وقد صور الشهاب الحجازي (ت 875 هـ) صورة فقد ابن حجر العسقلاني؛ إذ كان عالماً ناظماً ناشراً محدثاً ماهراً في الحديث متواضعاً كثير البر والصدقات، مصوراً المرء رهينة بيد القدر الذي فتح أبوابه ليستقبل هذه الجموع السائرة دوماً في طريق الفناء، فالموت واقع لا محاله، عاجلاً أو آجلاً، والمرء مهما طال به العمر لا بد أن تدركه المنون، بقوله:

[الكامل]

كل البرية للمنيّة صائرة      وقفوا لها شيباً فشبياً سائرة  
والنفس إن رضيت بما ربحت وإن      لم ترض كانت عند ذلك خاسرة  
وأنا الذي راض بأحكام مضت      عن ربنا البر المهيم صائرة  
لكن سئمت العيش من بعد الذي      قد خلف الأفكار منا حائرة  
قاضبي القضاة العسقلاني الذي      لم ترقع الدنيا خصيماً ناظرة<sup>(34)</sup>

وفي السياق نفسه فقد ابن حجر العسقلاني، فقد صور الشهاب المنصوري (ت 886 هـ) ذلك المصاب؛ إذ يقول:

[مجزوء الرجز]

قاضي الفضاة بالمطر  
كان مشيداً من حجر<sup>(35)</sup>

قد بكت السُّحْبُ عاً  
وانهدم السرُّكنُ الـذي

وقال ابن مليك الحموي (ت 917 هـ) يصور فقدان العلامة شمس الدين محمد البلاطنسي مفتي دمشق، فقد أبكاه بدموع غزيرة وأكثر عليه العويل والنواح، ووصفه بالجود ومصباح العلوم، وشبهه بالشمس في السماء لكن التراب قد حواه، قائلاً:

[الوافر]

وعين لا تقرُّ من البكاء  
تفيض لنا يدها بالوفاء<sup>(36)</sup>  
عطوفاً بالوفاء حسن اللقاء  
وللاممال مفتاح الرجاء  
بأن الشمس إلا في السماء<sup>(37)</sup>

فواؤد قد أضرَّ به التناهي  
فيما ظمئي لبحر كان جوداً  
وبر لا يزال بنا رؤوفاً  
ومصباح العلوم لطالبيهِ  
ثوى تحت التراب وليس عهدي

وفي صورة حسية بنادي ابن إياس الحنفي (ت 930 هـ) التراب، متمنياً أن يكون هو التراب، الذي يضم رفات القاضي بدر الدين بن مزر (ت 910 هـ)، وابن إياس هنا قد تأثر بالصورة القرآنية { يَا لَيْتَنِي كُنْتُ تُرَابًا }<sup>(38)</sup>؛ إذ يقول:

[مجزوء الرمل]

وبسُّحب التراب غاباً  
ليتني كنت تراباً<sup>(39)</sup>

خُسُف البدر المفرداً  
يا تراباً ضمَّ بدري

- الفُقْر:

الفقر:

الحاجة، وافقر فلان وأفقره الله، وهو الفقير، والفقر لغة رديئة. وأغنى الله مفقره، أي وجوه فقره<sup>(40)</sup>. ورجل فقير من المال. قال ابن السكيت: الفقير الذي له بُعْثٌ من العيش... قال والمسكين الذي لا شيء له. وقال الأصمعي: المسكين أحسن حالاً من الفقير. وقال يونس: الفقير أحسن حالاً من المسكين<sup>(41)</sup>. الفقر والفقر: ضد الغنى، مثل الضعف والضعف... وقد فقر، فهو فقير، والجمع فقراء، والأنثى فقيرة من نسوة فقائر؛ وحكى اللحياني: نسوة فقراء<sup>(42)</sup>...

وفي الإصطلاح، الفقر: "عبارة عن فقد ما يحتاج إليه. أما فقد ما لا حاجة إليه فلا يُسمى فقراً"<sup>(43)</sup>.

ولقد عانى معظم الناس من الأوضاع الاجتماعية الخاطئة بصورة عامة، وشعراء العصر المملوكي بصورة خاصة، نظراً لشدة السنين وتوالي المحن<sup>(44)</sup>.

ولم يكن العصر المملوكي بمنأى عن ظاهرة الفقر، فقد كثر في هذه الفترة، وصار سمة لبعض فئات المجتمع، فراحوا يشكون ويندمرون، ويشكون من العُبن وجور الزمان<sup>(45)</sup>.

وقد تجلّت ظاهرة الفقر في وصف ابن إياس الحنفي، لأحداث سنة ست وتسعين وستمائة، في كتابه الموسوم بـ (بدائع الزهور في وقائع الدهور) قائلاً: "وقع الغلاء بمصر وأعمالها، وانتهى سعر القمح إلى مائة وسبعين درهماً، وانتهى سعر الشعير إلى مائة وعشرين درهماً كل أردب، وكذلك الفول، وبلغ الرطل اللحم إلى سبعة دراهم، وأبيع الفروج بخمسة عشر درهماً، وأبيعت البيضة الواحدة بأربعة دراهم، وأبيعت التفاحة والرمانة والسفرجلة كل واحدة منهم بثلاثين درهماً، وأبيعت القطعة السكر بتقلها فضة. فلما اشتد الأمر على الناس، أكلوا القَطَط والكلاب والحمير والبغال والخيل والجمال، ولم يبق عند أحد شيء من الدواب، حتى قيل أبيع كل كلب بخمسة دراهم، وكل قط بثلاثة دراهم، وقد عمّ هذا الغلاء سائر البلاد الشامية، حتى مكّة والمدينة"<sup>(46)</sup>.

وليس من شك في أن الشعراء قد رزح منهم "تحت أثقال الفقر والعوز، فضاقت به الدنيا، انطلقاً من ضيق حجرته وراثته ثيابه، وندرة طعامه ومؤنته، وأضحى عنوان زمانه في عسر الحال وشدة الهزال وتقلب الأيام..."<sup>(47)</sup>

ولعل أول الشعراء الذين تجدر الإشارة إليهم سيف الدين المُشيد، الذي هاجم فقراء عصره واصفاً إيّاهم بالدواب، نظراً لتناولهم الحشيش المخدر، الذي قد شاع في عصره، فجاءت الصورة الحسية تحمل صورة الموت؛ إذ يقول:

[الوافر]

ومن دين دواباً في ثياب  
وهل يرعى الحشيش سوى الدواب<sup>(48)</sup>

أرى فقراءنا من كل علم  
يراعون الحشيشة حيث كانت

ومن الشعراء الذين شكوا ضيق حالهم وفقدهم الجزار؛ إذ يصور الشاعر في مشهد فني لوحة الفقر، فهو لا ملابس له قبالة له خلعة من الشمس صفراء، ثيابه وطيلسانه الهواء عند الشتاء وفي شدة البرودة، أما بيته فالأرض وسقفه السماء، وجسمه قد انحل من البرد، فصار كالغبار الذي لا يرى إلا في ضوء الشمس، وللشاعر من الليل والنهار موقف عزاء طويل، لذلك قدم الشاعر صورة الفقر الحسية، تعبيراً عن الإحساس بالموت، قائلاً:

[الخفيف]

لا أبالي إذا أتاني الشتاء  
مُ ثيابي وطيلساني الهوا  
رُ مُدَادٌ وَسَقْفُ بَيْتِي السَّمَاءُ  
لَ جِسْمِي لَقَلْبَتِ إِنِّي هَبَاءُ  
لِ عَزَاءٍ لَا يَنْفُضِي وَهَبَاءُ<sup>(49)</sup>

لي من الشمس خدعة صفراء  
ومن الزمهرير إن حدث الغي  
بَيْتِي الْأَرْضُ وَالْفَضَاءُ بِهِ سُو  
لو تراني في الشمس والبرد قد أنح  
لي من الليل والنهار على الطو

وفي اللوحة الثانية يصور الجزار داره الخربة، فدار الشاعر لا على الأرض، وإنما هي في سابع أرض، فضلاً عن ذلك هي محجة للناس، ومع ذلك فهي بمثل القارعة، والشاعر يخشى قراءة سورة الزلزلة فيها، خشيت بأن تقرأ سورة الواقعة، بقوله:

[المتقارب]

ولكن نزلت إلي السابعة  
محجتها للورى شاسعة  
نُ بها أو أكون على القارعة  
فتصغي بي بلا أذن سامعة  
خشيت بأن تقرأ الواقعة<sup>(50)</sup>

ودار خراب قد نزلت  
طريق من الطرق مسلوكة  
فلا فرق ما بين أتى أكو  
تساورها هفتوات النسيم  
إذا ما قرأت إذا زلزلت

أما في اللوحة الثالثة، فيقدم الشاعر صورة حسية من صور شتف العيش، وقد ضاق صدره منتقلاً بين دمياط والمحلة لكسب لقمة العيش، بين قوم صار المنع طبيعتهم، راجياً ربه الغنى وعدم سؤال كل لئيم، قد ارتفع قدره وهو في الأصل مكانه في الأسفل، بعدها يصور (النصفية) التي طالما لبست وصبغت في مشهد فني؛ إذ يقول:

[الخفيف]

بك دهري ما كان ينجر خبأه  
رزق منها وتارة بالمحأة  
ن لهم في الزمان دأباً وملأه  
قد علا قدره وإن كان سفله

ضاق صدري همأ ولو لم أهذد  
تارة أعتدي بدمياط أرجو الـ  
بين قوم قد صيروا المنع والمـ  
فاغتني عن سؤال كل لئيم

\*\*\*

ر سنا غسأ أنها ألف غسأه  
مراراً ومما تقرر بجمأه  
ويزيل النشاء تلك الغسأه<sup>(51)</sup>

لي نصفية تعد من العمد  
كل يوم يحوطها العصب والبدق  
فهي تغتزل كلما غسأها

وثمة ملحوظة فقد ذهب الشاعر المملوكي، وهو يصور المرء وقد كف كفيته خوف الفقر، أضف إلى خشيته من أن يصاب بتلك السهام.

[الطويل]

عن الجود خوف الفقر ما ذاك سانغ  
نصيبك والنعمى عليك سوايغ؟<sup>(52)</sup>

قال مجير الدين بن تميم:  
أيذا الذي قد كف كفيته عامداً  
أتخشى سهام الفقر ما دمت منقفاً

وإذا كان مُجير الدين بن تميم قد صورَ خشيته من سهام الفقر، فابن النَّقِيبِ الفقيسي قد صورَ فقره وشيخوته ومعيشته القاسية، بقوله:

[الطويل]

وَجُرُدْتُ مَعَ فَقْرِي وَشَيْخُوخَتِي الَّتِي  
عَرَّثَنِي فَعَيْثِي مِثْلَ نَوْمِي مُشْرَدٌ  
فَلَا يَدْعِي غَيْرِي مَقَامِي فِإِنِّي  
أَنَا ذَلِكَ الشَّيْخُ الْفَقِيرُ الْمَجْرَدُ<sup>(53)</sup>

ويتحدث البوصيري عن أحواله الخاصة؛ إذ يعرض شكواه على أحد الوزراء، واصفاً حاله وفقره وكثرة عياله، قائلاً:

[السريع]

يَا أَيُّهَا الْمَوْلَى الْوَزِيرُ الَّذِي  
وَمِنْ لَيْلِهِ مَنْزَلَةٌ فِي الْعُلَا  
أَخْلَافُكَ الْغُرُ دَعَنْتَنَا إِلَى الْـ  
أَيَّامُهُ طَائِعَةٌ أَمْرَةٌ  
تَكِيلُ عَنِّي أَوْصَافِيهَا الْفُكْرَةُ  
إِدْلَاءٌ فِي الْقَوْلِ عَلَى غِرَّةِ<sup>(54)</sup>

وفي لوحة مؤلمة تثير في النفوس الشفقة والرحمة، يجسد البوصيري مشهد الفقر مصوراً متاع البيت الذي خلا حتى من إناء الشرب ومن القمح أو الخبز<sup>(55)</sup>؛ إذ يذكر فيها سوى حاله محاولاً استدراج عطف الوزير لتلك الصورة المؤثرة، بعدها ينتقل لرسم لوحة صوم أولاد الشاعر، وهم يتحلقون بعد صيام يومهم لتلك الخبيزة المسلوقة، الذي يجعل من هذه الوجبة نشرة يومية؛ لذلك فالفقر عند الشاعر، موت قبل الموت؛ إذ يقول:

[السريع]

الْيَاكَ تَشْكُو حَالَنَا إِنْنَا  
أَحَدْتُ الْمَوْلَى الْحَدِيثَ الَّذِي  
صَامُوا مَعَ النَّاسِ وَلَكِنَّهُمْ  
إِنْ شَرَبُوا فَالْبِئْرُ زَيْرٌ لَهُمْ  
لَهُمْ مِنْ الْخَبِيْزِ مَسْلُوقَةٌ  
عَائِلَةٌ فِي غَايَةِ الْكُنْزِ  
جَرَى عَلَيْهِمُ بِالْخَبِطِ وَالْإِبْرَةِ  
كَانُوا مِنَ الْبَصْرِ هُمْ عِبْرَةُ  
مَا بَرَحَتْ وَالشَّرْبَةُ الْجَرَّةُ  
فِي كُلِّ يَوْمٍ تَشْبِيهِ التَّشْرَةِ<sup>(56)</sup>

وفي صورة حسية أخرى لا تقل عن سابقتها، من ضيق الحال وعسر المعيشة، يرسم البوصيري صورة إقبال العيد، وهم لا قمح ولا خبز ولا فطرة عندهم، في قوله:

[السريع]

وَأَقْبَلَ الْعَيْدُ وَمَا عِنْدَهُمْ  
فَارْحَمَهُمْ إِنْ أَبْصَرُوا كَعَا  
تَشْخَصُ أَبْصَارُهُمْ نَحْوَهَا  
قَمْحٌ وَلَا خُبْزٌ وَلَا قَطْرَةٌ  
فِي يَدِ طِفْلٍ أَوْ رَأَوْا تَمْرَةً  
بِشَهْقَةٍ تَتَّبَعُهُمْ كَأَنَّ زَفْرَةً<sup>(57)</sup>

أما ابن دقيق العيد (ت 702 هـ)، فقد ذكرت الروايات المختلفة عن فقره حتى أيام توليته منصب قاضي القضاة؛ إذ ذاق مرارة الفاقة وقاسى من الفقرة الكثير، وفي ذلك يقول:

[الطويل]

لعمري لقد قاسيتُ بالفقر شدة  
فإن بحث بالشكوى هتكاً مروءتي  
فأعظم به من نازل بملمة  
وقعتُ بها في خيرة وشئات  
وإن لم أبح بالصبر خفت ممتاتي  
يُزِيلُ حَيَاتِي أَوْ يُزِيلُ حَيَاتِي<sup>(58)</sup>

وجاء ابن دانيال الموصلي الكحال، مصوراً فقره وبؤسه وحرمانه، واصفاً بيته الذي يخلو من الطعام بعامه واللحم خاصة، وقد هجرت بيته القطط، أما كلبه فلم ير صورة العظم، وتوقف المطبخ وأدواته، فضلاً عن موقده كان بارداً، مما جعل العنكبوت أن يتخذة بيتاً له، حتى ملَّ عليه العنكبوت، لطول لبثه فيه، وأصبحت مغارفه وزباده دارسة كالرسوم التي عفى عليها الزمان، وقدره لم تعرف يوماً النار، وهذا كناية على عدم استعمالها، وتوقف المطبخ مع أدواته، بقوله:



[السريع]

وأصْبَحَ كَابِي لا يَرى صَوْرَةَ العَظْمِ  
وَمَلَّ عَلَيْهِ العَنكَبُوتُ مِنَ البَرْمِ  
وَلاحِثَتْ زَبادِينا دِوارِسا كَالرَّسْمِ  
طِيالِسُننا إِذ لَم تُعَدَّ مِنَ البُرْهُمِ  
كَأَنَّ لَم تُكُنْ يَوماً تُعَدُّ مِنَ الدُّهُمِ<sup>(59)</sup>

لَقَد هَجَرَتْ بِيْتِي القَطْطاط لَفْقَدَه  
وَكانونُ قَدري مَثَلُ كانونِ بارِدٍ  
وَقَد عَقَقْتُ نارُ الوَقُودِ مِغارِفي  
وَأَمَسَّتْ مَنادِيْلُ الخِوانِ كَأَها  
وَصارَتْ قَدوري وَهي شَهَبٌ مِنَ الطوى

وصفي الدين الحلبي يصور قسوة حياته وضيق حاله، ويدلل على خيبة أمله، وعيشه في الأوهام من ممدوحه؛ إذ يلتبس تغيير حياته من الفقر إلى الغنى؛ لكن من دون جدوى، حتى يمل الشاعر من ممدوحه، ويأس من وعوده، في قوله:

[الرمل]

قَد قَضَينا العُمَرَ في مَطْلِكُمُ  
أَذا مُتَّنا نَـرَى وَعَدَدُكُمُ  
وَظَنَّنا وَعَدَدُكُمُ كَأنَّ مَنا ما  
أَما إِذا كُنَّنا تُرابِياً وَعِظامَنا؟<sup>(60)</sup>

وفي المعنى نفسه ينقل ابن نباتة المصري، صورة حسية تمثل يأسه من ممدوحه، بعد أن قضى حياته مَداحاً، والشاعر هنا فقير الحال مُعَدَم؛ إذ يقول:

[الهزج]

قَضَيتُ العُمَرَ مَداحاً  
فَقَيَّرُ الوَجْهَ والكِيفُ  
وَهذا يا أَخِي الحِمالُ  
فَلا جَـاةً وَلا مَـالاً<sup>(61)</sup>

ويصور ابن نباتة كثرة عياله، وبؤسه في حياته، ويأسه من توفير العيش الرغيد لهم، بأسلوب هزلي ساخر قائلاً:

[الوافر]

لَقَد أَصَبَحْتُ ذا عَميرٍ عَجيبِ  
مِنَ الأَولادِ خَمسِ حَـولِ أَمِّ  
أَقضَّي فيهِه بِالانكِادِ وَقَتِي  
فَواحرِباها مِنَ خَمسِ وَسِـتِ<sup>(62)</sup>

وقد صور ابن مليك الحموي أيام بؤسه وضيق حاله، فأورثه الوهن واليأس، وقد باع كل ما يمتلكه، من أجل سد معيشتة، حتى وصل هذا الأمر إلى بغلته وثيابه، معلناً أنه لم يكن لديه إلا فروة قد طار صوفها من قدمها، بعدها يستعرض ضعف جسمه وانحلاله وقدم فصل الشتاء، وهو لا يملك ما يدفع عنه برودة الشتاء، بقوله:

[السريع]

والفقرُ بي أَفضي إِلى بِيـعِ ما  
وَبِعْتُ حَتى بَغلتِي وَالكِسا  
وَلَم يَكُن عِندي سَوى فِروَةٍ  
قَد طارَ مِنَ طَولِ المَدى صَوفُها  
وَقد وَهي جِسمي وَقَلَّ القَوى  
وَجاها زَحفاً جَيشُ فَصَلِ الشَـتا  
وَاشتَدَّ حَتى إِنا مِنَ بَرَدِـه

فَوقِي وَتَحْتِي بِالهَوى وَالهَوانِ  
وَجَـرَّتِ القَافِيَةُ الطِيايِسانِ  
تُعَدُّ سَـبِعاً وَقَروناً ثَمانِ  
وَعاثَ مِنْها كَـلُّ قَاصِ وَدانِ  
وَكَنتِ مِنَ قَبيلِ قَوى الجِـنانِ  
مَـارِبِياً بِالبَـرِدِ لا بِالسَـنانِ  
لَم يَدَفِّ مَنّي فيهِ غَيرُ اللِسانِ<sup>(63)</sup>

- القَبْرُ:

قبر: المَقْبَرَةُ والمَقْبَرَةُ: مَوْضِعُ القُبُورِ، والقَبْرُ: واحِدٌ. والقَبْرُ: مصدر، والقَبْرُ: مَوْضِعُ القَبْرِ، وَقَبْرَتُهُ أَقْبَرُهُ قَبْرًا وَمَقْبَرًا<sup>(64)</sup>. وَقَبْرَتْ المِيتَ أَقْبَرَهُ قَبْرًا، أَي دَفَنَتْه. وَأَقْبَرْتُهُ، أَي أَمَرْتِ بِأَنْ يُقْبَرَ<sup>(65)</sup>. والقَبْرُ: مَدْفِنُ الإنسانِ، وَجمَعُهُ قُبُورٌ... وَمِنه الحَدِيثُ: لا تَجْعَلُوا بَـيُوتَكُم مَقابِرَ أَي لا تَجْعَلُوها لَكُم كَالقُبُورِ لا تَصَلُّونَ فيها لِأَنَّ العَبْدَ إِذا ماتَ وَصارَ في قَبْرِه لَم يَصَلِّ، وَيَشْهَدُ لَهُ قَوْلُهُ فِيهِ: اجْعَلُوا مِنْ صَلاَتِكُمْ فِي بَـيُوتِكُمْ وَلا تَتَخَذُوها قُبُورا<sup>(66)</sup>. والقبر والجدث من الألفاظ الدالة على الموت، ويمثلان مرحلة أخرى للميت بعد موته.

وفي القرآن الكريم يعبر عن القبر بالزيارة في قوله تعالى: {أَلْهَآكُمُ التَّكَاثُرُ (1) حَتَّى زُرْتُمُ المَقَابِرَ (2)}<sup>(67)</sup>.

وهذا مما يدل على أن الإنسان "في القبر هو مجرد زائر، وليس مقبلاً إقامة دائمة، وما دام زائراً وليس مقبلاً، فإن الزيارة مهما طالت.. سيأتي لها وقت وتنتهي وتزول، وهي زيارة ستنتهي بيوم الحشر، فالموت هو انتقال من قوانين إلى قوانين أخرى مختلفة، فالإنسان في حياته، له جرم مادي، هو الجسد، ولكن في الموت يعود الجسد إلى الأرض مرة أخرى، ثم ترد إلى صاحبه يوم القيامة"<sup>(68)</sup>.

ومن الأهمية بمكان القول، أن الشاعر المملوكي، تناول صورة القبر في الشعر، مستحضراً الموروث العربي القديم، وواصفاً حال المرء مهما امتد به الأمد وطال، لا بد يوماً من أن يفارق الحياة، فلا نجاة للمرء ولا عاصم له، من أن تصل إليه يد الفناء والقدر، وهو يرسم صورة القبر، الذي منه سوف يحشر في يوم الحساب، وحيداً بما قدمت يداه من خيرٍ أو شرٍ، وهو هنا يتكئ على الصورة القرآنية {وَوَجَدَ اللَّهُ عِنْدَهُ فَوْقَهُ حِسَابَهُ وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ} (69).

قال ابن الظهير الإبلي:

[الخفيف]

كُلُّ حَيٍّ إِلَى الْمَمَاتِ مَأْبَهُ      وَمَدَى عُمْرِهِ سَرِيعٌ ذَهَابُهُ  
ثُمَّ مِنْ قَبْرِهِ سِيُحْشَرُ قَرْدًا      واقفاً وَحَدَهُ يُوقَى حِسَابُهُ (70)

أما الشاعر الجزار فيصور موت ابن الفارض ودفنه في موضع يعرف بالعارض، إذ لم يبق مطر إلا وقد زاره، يروي قبره الذي سوف يبقى حتى يوم العرض تحت العارض، موظفاً الموروث العربي القديم؛ إذ يقول:

[الكامل]

لَمْ يَبْقَ عَيْثُ سَحَابَةٍ إِلَّا وَقَدْ      فَرَضْتُ عَلَيْهِ زِيَارَةَ ابْنِ الْفَارِضِ  
لَا عَرَوْا أَنْ يُرَوَى نَرَاهُ وَقَبْرَهُ      باقٍ لِيَوْمِ الْعَرْضِ تَحْتَ الْعَارِضِ (71)

وتأتي صورة القبر عند مجير الدين بن تميم تحمل معانٍ أخرى، فقلب الشاعر له قبر يُدفن فيه الأموات في الأحياء، وتلك صورة من مات ولم يستطع البكاء أن يرجع من بُعد، بقوله:

[الكامل]

لَوْ كَانَ فِيضُ الدَّمْعِ يُرْجَعُ مَنْ نَأَى      عَنِّي بِكَيْتٍ بِسَائِرِ الْأَعْضَاءِ  
قَلْبِي لَهُ قَبْرٌ وَتِلْكَ عَجِيبَةٌ      أَنْ يُقْبَرَ الْأَمْوَاتُ فِي الْأَحْيَاءِ (72)

ويرسم الشاعر المملوكي صورة القبر، من خلال تلك الليالي والأيام، التي تذكّر المرء بزوال الدنيا الفانية، وطلب الآخرة الباقية، مذكرة إياه بزوال كل ما يملك؛ إذ تدنوه من القبر وتريه الأموات وهو موقن بالموت؛ لكنه يتغافل ولا يأخذ العبرة قبل الفوت، والشاعر هنا يستحضر مضمون الشاعر أبي العتاهية:

[الطويل]

عَفَلْتُ وَلَيْسَ الْمَوْتُ عَنِّي بِعَافِلٍ      وَإِنِّي أَرَاهُ بِي لَأَوَّلَ نَازِلٍ  
نَظَرْتُ إِلَى الدُّنْيَا بَعَيْنٍ مَرِيضَةٍ      وَفِكْرَةَ مَعْرُورٍ وَتَدْبِيرِ جَاهِلٍ (73)

[البسيط]

وفي هذا يقول تقي الدين السروجي (ت 693 هـ):  
أَرَى اللَّيَالِي وَالْأَيَّامَ تَجِدُنِي      بِحَبْلِ عُمُرِي إِلَى قَبْرِي وَتُذِنِّي  
وَكَمْ تُرِيئِي مِنْ مَيِّتٍ وَذَلِكَ أَنَا      وَكَمْ تُحَدِّثُ غَيْرِي وَهِيَ تُعِينِي (74)

وللشاعر شهاب الدين العزازي ولد يموت صغيراً اسمه ناصر الدين محمد، فيبكيه الشاعر ويرسم بأدواته الشعرية صورة حسية، عندما يطلب من الدموع أن يسفيا، فإن لم يحفظ الدمع العهد فاسقيه بالمطر، قائلاً:

[الخفيف]

وَاسْقِ قَبْرَهُ الدَّمْعَ فَإِنْ خَا      نَكَمًا الدَّمْعُ فَاسْقِ قِيَاهُ الْعَهْدَا  
أَيْهَا الْمَوْتُ كَمْ تَأَلَّيْتُ عَرُوشًا      بِأَذْخَاتٍ وَكَمْ أَمَلْتُ عَمَادَا  
فَعَلَى الْعَبْدِ قَدْ غَلَّظْتُ طِبَاعًا      وَعَلَى الْخُرِّ قَدْ قَسَمْتُ فُؤَادَا (75)

ولم ينس ابن الوردي (ت 749 هـ) تصوير القبر وهو يصور مرثيه؛ إذ بكت عليه الدموع الغزيرة، فضلاً عن أمطار السماء، متسانلاً كيف يمكن أن تتسع المقابر للبحور، في إشارة لعلو شأن المرثي، إذ يقول:

[الوافر]

وَيَا مَطَرَ السَّمَاءِ أَرَاكَ تَهْمِي      أَظَنَّكَ بِأَكْيَا صَدْرَ الصَّدُورِ  
أَمَا وَاللَّهِ لَوْ أَنَا قَدَرْنَا      غَسَلْنَا الْبَدْرَ بِالْبَدْمِ الْغَزِيرِ  
وَلَكِنَّ الدَّمْعَ دَمَّ عَبِيطٍ      وَشَرَطَ الْغَسْلَ بِالْمَاءِ الطَّهْرِ  
لَقَدْ بَلَغَ الْمَنَى قَبْرُ حَوَاهُ      أَتَنْسَعُ الْمُقَابِرُ لِلْبَحْرِ (76)

وفي السياق نفسه يصور الشاعر صفي الدين الحلي، مرثيه خاله جلال الدين عبد الله بن حمزة بن محاسن، وقد سقى الله تربة ضمت جسمه، داعياً لساكنيها بالرحمة والرضوان، بقوله:

سقى الله ترباً ضمَّ جسمك وإيلاً  
يُنمِّقُ رَوْضاً بَرْدُهُ وَيَقْوَفُ<sup>(77)</sup> [الطويل]

وأيضاً قال ابن نباتة المصري، في مرثيه جمال الدين بن هشام، يصور سقي قبره بالمطر الغزير؛ إذ تجر على قبره سحابة من البرد، في قوله:

سقي ابن هشام في الثرى نوء رحمة  
سأروي له من سيرة المدح سيرة<sup>(78)</sup>  
تجرّ على مثواه ذيل غمام  
فما زلت أروي سيرة ابن هشام

ويتناول ابن حجر العسقلاني صورة القبر، لمّا يرثي شيخ الإسلام سراج الدين البلقيني (ت 805هـ)، واصفاً "تلك المهابة التي بدت على تلك القبور إلى غير سبب، منها ما حوته من علوم، وفضائل، وأخلاق حميدة، ولذا تعجبوا من مساحتها الصغيرة التي ضمت بحاراً من العلوم"<sup>(79)</sup>.

قال ابن حجر العسقلاني:  
عجبي لقبر حواه أنه عجب  
إذ بان منه اتساع الصدر للبحر<sup>(80)</sup> [البسيط]

ولم يغفل ابن سؤدون البشباغوي (ت 868 هـ) عن صورة القبر الحسية؛ إذ يقول:

لقد فاز عبدٌ قد أعدّ لنفسه  
يصير له في القبر أنساً فإنما  
من الخير قبل الموت ما هو أكمل  
أنيس الفتى في القبر ما كان يعمل<sup>(81)</sup> [الطويل]

ويخاطب الشهاب المنصوري القبر، الذي حوى قاضي القضاة سعد الدين سعد الديري الحنفي (ت 867هـ)، مهناً إياه لأنه قد ضم في داخله الجميل مع الجمال، وفي الوقت نفسه معاتباً إياه بتغييبه لذلك الوجه، الذي هو أشهى لناظره من الماء العذب للعطشان، بقوله:

فيا قبراً ثوى فيه تهني  
وقد غيبت وجهها كان أشهى  
فقد حزت الجميل مع الجمال  
إلى الظامي من الماء الزلال<sup>(82)</sup>

أما ابن مليك الحموي، فقد صور تربة ضمت في باطنها الشيخ أبا العباس الغمري (ت 913هـ)، بالدعوة للقبر بالسقيا والمطر الغزير، قائلاً:

سقى الله ترباً ضمّه وإبل الحيا  
وعوضه عن هذه الدار جنّة  
وجاد عليه من سحائب القطر  
يقدم له عن كل دار بها قصر<sup>(83)</sup>

ويخاطب ابن إياس الحنفي القبر، بالأ يظلم على مرثيه الملك الناصر محمد ابن الأشرف قايتباي (ت 904هـ)، فقد كحل بطلته العتمة، ويغبط القبر على احتوائه لهذا المتوفى؛ إذ يقول:

يا قبر لا تظلم عليه فطالما  
طوبى لقبير قد حواه كيف لا  
جأى بطلته دجى الإظلام  
يحكي السماء وفيه بدر تمام<sup>(84)</sup>

يتضح مما تقدم أن صورة القبر، تمثل ما اكتسبه القبر أو حظي به، من مجد ورفعة وعلو شأن؛ وذلك بما احتواه القبر لذلك الميت، فضلاً عن ذلك تحدثوا عن القبور من الداخل، بوصفها قطعة من قطع الجنة، فيها الحور والولدان، وتعمرها الرحمة والمغفرة، ناهيك عن ما تمثله تلك القبور، من خلال الدعوة للقبور بالسقيا، ولساكنيها بالرحمة والمغفرة<sup>(85)</sup>.

#### - الشَّيْبُ:

شيب: الشَّيْبُ: معروف. شاب يَشِيْبُ شَيْباً وشَيْبَةً. ورجل أَشْيَبٌ، وقومٌ شَيْبٌ، ولا يُنْعَتُ المرأة: لا يُقال: امرأة شيباء. يقال: شاب رأسها<sup>(86)</sup>. والشَّيْبُ والمَشْيِبُ واحدٌ. وقال الأصمعي: الشَّيْبُ بياض الشعر. والمَشْيِبُ دخول الرجل في حدّ الشَّيْبِ من الرجال<sup>(87)</sup>. والأشْيَبُ: المُبْيَضُ الرأس. وشَيْبَةُ الحزنُ، وشَيْبَ الحزنُ رأسه، وبرأسه، وأشاب رأسه وبرأسه، وقومٌ شَيْبٌ<sup>(88)</sup>.

وقد قيل في الشيب: "إن الله تعالى يقول الشيب نوري وأنا أستحي أن أحرقه بناري" (89) ومن الأهمية بمكان القول، أن الشيب "لم يكن المرأة التي تعكس هموم الشاعر وهاجسه من أعباء العمر أو الزمن حسب، إنما هو أيضاً انعكاس لمواقف الناس من الشيب والمشيب على السواء" (90).  
 إذاً، فالشاعر مثله في ذلك مثل سائر الناس، ينزعج لما يرى أول شعرة في رأسه، ويعدّها بداية الطريق إلى المشيب، فضلاً عن ذلك فالشيب ضيف غير مرغوب فيه، تعافه النفس، وتعرض عنه الأنظار، ويبدى الشعراء فزعهم منه، ومنهم من يعدّ الشيب مصيبة من المصائب التي تحل بالإنسان، أو هو جناية الزمان على الإنسان، ناهيك عن ذلك من الشعراء من يعدّ الشيب ليس عيباً أو ذنباً فحسب، وإنما هو يقود إلى السفة (91).  
 وحينما يحلّ الشيب على الشاعر المملوكي، تعرّف الحبيبة وتصد من بعد إقبالها، فيصوّر الشاعر المملوكي دفاعه عن المشيب، محاولاً تذكير الحبيبة بطبيعتها في الغدر، مع تجسيد ذلك بتذكيرها بأيام الشباب، فالشيب يرتبط في وجدان المحب بالموت.  
 قال سيف الدين المُشيد:

تَقُولُ وَقَدْ رَأَتْ شَيْبِي تَبَدُّا  
 ففُؤْتُ كَذَاكَ شَيْمَتَكُمْ مَلَالًا  
 لَقَدْ حَاوَلْتُ مَحْبُوبًا سَوَاكَا  
 وَغَدِرْتُ لَا تَبْرُونَ لَهُ فَكَاكَا  
 فَحَنُّ إِلَى الْبِيضِ فَكَانَ ذَاكَ (92)

وفي السياق نفسه من تصوير صدور الحبيبة، وعزوفها عند ظهور المشيب، يقول صاحب شرف الدين الأنصاري:

تَوَلَّى شَيْبِي فَوَلَّى الْعَرَامُ  
 وَلَوْ لَمْ يَصِدْنِي بَازِيئُهُ  
 وَلَا زَمَ شَيْبِي أَلْزَمَ الْعَرِيمُ  
 لَمَا صَارَ مَتْنِي مَهَاةَ الصَّرِيمِ (93)

ومن الشعراء من يصوّر إحياءه عصر الشباب الذي ذهب، متلهفاً لتلك الأيام التي فاتت، وقد كشف له المشيب الزمان وأهله، فالشيب نذيراً بالشيخوخة والموت.  
 قال شهاب الدين التلعفري:

سَلَامٌ عَلَى عَصْرِ الشَّبَابِ الَّذِي مَضَى  
 وَأَهْلًا لِأَيَّامِ المَشْيَبِ الَّتِي بَهَا  
 وَرُوحي بضافي ظلّيه ما تمّلت  
 تجلّلت غيابات العمى وتولّلت  
 عرفتُ بها هذا الزمان وأهله  
 فرحنتُ لشيبِي غافراً كُلَّ زَلَّةٍ (94)

ويحزن الشاعر المملوكي مع بداية ظهور المشيب في رأسه، فيصوّر هجرة الغانيات بعد مدة انعدام الشباب، ويسخر من رجل علا البياض رأسه.

قال يوسف بن لؤلؤ الذهبي (ت 680 هـ):  
 وَعَاجَلَنِي صَبْحٌ مِنَ الشَّيْبِ قَبْلَ أَنْ  
 وَحَجَّ بَ عَنِّي الْغَانِيَاتُ كَأَنَّه  
 [الطويل]

أَهْوَمَ فِي لَيْلِ الشَّبَابِ وَأَهْجَعَا  
 بِيَاضَ عَلَى الْعَيْنَيْنِ وَالْفُودِ أَجْمَعَا (95)

وقد يصاب الشاعر المملوكي بمكروه في رأسه، فيصوّر بداية طلّاع المشيب.  
 قال مجير الدين بن تميم:

خَطَبْتُ أَلَمَّ وَشَيْبُ رَأْسِي جَمَلَةٌ  
 فَاعْجَبْتُ لَخَطَبِ أَسْوَدٍ لَمْ يَقْتَنِعْ  
 [الكامل]

فَلَقَيْتُ شَرًّا مِنْهُمَا وَكَذَا فُضِي  
 بفعاله وأتى بخطبٍ أبيضٍ (96)

ومن الشعراء من يصوّر أسفه على فقد المشيب؛ وذلك لأن أيام الشباب تخلفها أيام المشيب، أما مدة المشيب فلا مدة تخلفها، وعليه يجب التأسف على هذه المدة التي بانقضائها يكون مصير المرء الموت.

قال ابن النقيب الفقيسي:

لَا تَأْسَفَنَّ عَلَى الشَّبَابِ وَقَفِّدِهِ  
 هَذَا إِذَا خَلْفَهُ سُوَاهُ إِذَا انْقَضَى  
 [الكامل]

فَعَلَى المَشْيَبِ وَقَفِّدِهِ يُتَأَسَّفُ  
 وَمَضَى وَهَذَا إِنْ مَضَى لَا يَخْلَفُ (97)

وفي هذا يأتي الشاعر المملوكي يتناول صورة المشيب، فإذا كان الشاعر حمل التأسف على عيونه، فالشيب قد حمله على رأسه، وهو بذلك يضيف إلى هموم الحياة همماً جديداً.

قال الشاب الظريف (ت 688 هـ):  
 حَمَلْتُ تَسْهُدِي وَالشَّيْبُ هَذَا  
 عَلَى رَأْسِي وَذَلِكَ عَلَى عُيُونِي (98)

وقد كَتَبَ المشيب عند البوصيري، فجعل من الشيب بداية الطريق نحو الموت، بقوله:

[الكامل]

ذَهَبَ الشَّابُّ وَسَوَّفَ أَذْهَبُ مِثْلَمَا      ذَهَبَ الشَّابُّ وَمَا امْرُؤٌ بِمُخَّادٍ<sup>(99)</sup>

إن حتمية المشيب قد أبكت الشاعر لفقد الشباب، وأحزنته إعراض الفتاة التي نهد ثديها، الكواعب الحسان، والشاعر هنا يستدعي مضمون الشاعر القديم:

إِذَا شَابَ رَأْسُ الْمَرْءِ أَوْ قَلَّ مَأْلَهُ      فَلَيْسَ لَهُ مِنْ وَدْهِنٍ نَصِيبٌ<sup>(100)</sup>

[الكامل]

قال شهاب الدين العزازي:  
أبْكَاهُ تَفْوِيضُ الشَّابِّ الذَّاهِبِ      وَشَجَاةُ إِعْرَاضِ الْفَتَاةِ الْكَاعِبِ  
وَتَنَاهَا عَنْ صَبُوتِهِ فَقَدْ صَبَا      وَعَنْ الْمُجُونِ بِيَاضِ رَأْسِ شَائِبِ<sup>(101)</sup>

ولا مرأ فيه أن شيب الرأس، إنما يدل على استحالة عودة الشباب للمرء، والمشيب يرتبط عند الشاعر بالميتة.  
قال ابن دانيال الموصلي:

[الطويل]

وَإِذْ شَابَ رَأْسِي شَابَ عَيْشِي شَائِبٌ      رَمَى بِفَوَادِي مُنِيَّتِي بِمُنِيَّتِي<sup>(102)</sup>

وهذا عبد الحق بن أبي علي الحموي المعروف بابن البارح (ت 711هـ)، يصور سرعة زوال الشباب، لذا يعطي الشباب نصيبه من الملمات، بقوله:

وَمَالِي لَا أُعْطَى الشَّابَّ نَصِيبَهُ      وَغَصَنَاهُ يَهْتَزُّ فِي عَوْدِهِ الرُّطْبِ  
رَأَيْتَ اللَّيَالِي يَنْتَهِيَنَّ شَبَابِي      فَسَارَعَتْ بِاللَّذَاتِ فِي ذَلِكَ النَّهْبِ<sup>(103)</sup>

[البيسط]

وقد كتب يوسف بن أحمد الإسكندراني (ت 733هـ)، مصوراً الشيب قائلاً:  
مَذْحَلْ زَائِرُ هَذَا الشَّيْبِ صَيْرِنِي      بَعْدَ الصَّبِيِّ وَازَارِي ذَكَرًا وَزَارِي<sup>(104)</sup>

وقد يأتي الشيب والعمى سواء فلا فرق بينهما.

[الرمل]

قال ابن الوردي:  
أَنْكَرْتُ شَبَابِي فَصَدْتُ وَنَأْتُ      قَالَتْ اسْكُتْ إِنَّمَا الشَّيْبُ عَمَى  
فَبِيَاضِ الْعَيْنِ وَالشَّيْبِ سَوَا<sup>(105)</sup>

ويتيقن الشاعر صفي الدين الحلبي، من ضيفه الشيب بقرب النهاية للحياة، فالمشيب يرتبط في وجدان المرء بالموت؛ إذ يقول:

[الخفيف]

لَوْ تَيَقَّنْتُ أَنَّ ضَيْفَ بِيَاضِ الشَّيْبِ      بَيِّقِي لَمَا كَرِهْتُ الشَّابَّ بَابًا  
غَيْرَ أَنِّي عَلِمْتُ مِنْ ذَلِكَ الرَّأْيِ      نُرِّ مَا يَقْتَضِي وَمَا يُنْقَضِي<sup>(106)</sup>

وقد تبرز صورة المشيب الحسيّة عند صلاح الدين الصفدي؛ إذ يفاضل بياض المشيب على سواد الشباب، بقوله:

[الوافر]

أَرَى فَضْلَ الْمَشَيْبِ عَلَى شَبَابِي      يَخَالَفُ فِيهِ بَعْضُ الْأَغْبِيَاءِ  
وَهَبْنِي قَلْتُ هَذَا الصَّبْحَ لَيْلٌ      أَيْعَمِي الْعَالَمُونَ عَنِ الضِّيَاءِ<sup>(107)</sup>

أما ابن نباتة المصري، فيربط انتشار الشيب بالهموم، مصوراً كثرة الشيب في رأسه بسبب كثرة الهموم، قائلاً:

[الخفيف]

عَجِبْتُ خَلَّتْ لِي لَوْحُطُ مَشَابِي      فِي أَوَانِ الصَّبِيِّ وَغَيْرِ عَجِيبِ  
مَنْ يَعْمُ فِي بَحَارِ هَمِّي يَظْهَرُ      زَبِيدٌ فَوْقَ فَرْعِهِ الْغَرِيبِ  
مَنْ يَحَارِبُ حَوَادِثَ الدَّهْرِ يَخْفَى      لَوْنُ فُؤَادِيهِ فِي غِبَارِ الْحُرُوبِ  
أَيُّ فَرْعِ جَوْنٍ عَلَى عَنَتِ الْإِيَا      مَ بَيِّقِي وَأَيُّ غَصَنِ رَطِيبِ<sup>(108)</sup>

ويبدو أن الشيب عند تاج الدين السبكي (ت 771هـ) تسبب بمقاطعة النساء وإعراضهن عنه، في قوله:

[مجزوء الكامل]

بَكَرَ الْعَوَازِلُ فِي الْعَرَا      مَ بَلْمَنَّتِي وَأَلْوَمَهْنِي  
وَيَقْلَنْ شَبَابِي قَدْ عَلَا      كَ وَقَدْ كَبَّرْتُ فَقَلْتُ إِنَّهُ  
أَبْرَزَنْ لَمَّا لَمَنْ قَلَا      بِي الْمَضْمَرَاتِ الْمُسْتَكْنَةَ<sup>(109)</sup>

ويجري ابن حجر العسقلاني معادلة بين الشباب والشيب، بعدم التمسك بروح الشباب والتصابي، مؤكداً أن الشباب غير حليف المرء، وخبوط الشيب لم تخلق دون فائدة؛ إذ يقول:

[الكامل]

يا أيها الشيخ المطيخ هَواهُ دَع      هَذي الدَّعابةُ قد أتى داعي الرَدَى  
وخبُوط هَذا الشيب لا تنسج بها      ثوب الصَّباة فهي ما خلقت سُدَى<sup>(110)</sup>

ويروم ابن مليك الحموي أن يعود ريعان الشباب؛ لكن أمر بعيد أن تعود الأيام، وعودة شبابه إليه، بعد فقد الشباب ولما أصابه من مشيب، فهو زمن ماضٍ لا عودة له، والشاعر هنا استمدَّ صورته الحسيّة من صورة الشاعر العباسي:

[الوافر]

فَيا لَيْتَ الشَّبَابَ يَعُودُ يَوْمًا      فَأخبرُهُ بما فَعَلَ المشيبُ<sup>(111)</sup>

[الطويل]

وفي هذا يقول ابن مليك الحموي:  
أمن بعد ما لاح المشيبُ بعارضي      وعرف الصَّبا وألى ولم أرَ طيبا  
أروم شبابي أن يعود كما بَدَا      وهيهات عودي أن يعود رطيبا<sup>(112)</sup>

-الخراب:

خراب: يقال: خرابٌ، وثلاثة أخربة، والجميع: خربٌ كالكلمة والكلم، ولغة تميم: خربٌ وكلّم الواحدة: خربة وكلّمة. وخرّب خراباً وخرّبته تخريباً. وفي الدعاء "اللهم مخرب الدنيا ومعمّر الآخرة"، أي خلقتها للخراب<sup>(113)</sup>. والخراب: ضدّ العمارة. وقد خرب الموضوع بالكسر فهو خربٌ. ودارٌ خربةٌ، وأخرجها صاحبها. وخرّبوا بيوتهم، شدّد لفسؤ الفعل أو للمبالغة<sup>(114)</sup>. والخراب: ضدّ العمران، والجمع أخربة... والخربة: موضع الخراب، والجمع خربات... والتخريب: الهدم، والمراد به ما يُخربه الملوك من العمران، وتعمّره من الخراب شهوة لا إصلاحاً، ويدخل فيه ما يعمّله المترفون من تخريب المساكن العامرة لغير ضرورة وإنشاء عمارتها<sup>(115)</sup>.

ومع إطلالة القرن السابع للهجرة، تعرضت الدولة الإسلامية إلى محن كثيرة وأزمات حادة، وفتن متلاحقة، وكان الخلفاء العويبة بيد الأعاجم الذين تصرفوا بالبلاد كما شاؤوا، ولقد كان لضعف "الخليفة"، وتفريق الناس شيعاً وأحزاباً وفقدان الأمن والطمأنينة شجعت هولاء على الزحف نحو العراق والبلاد العربية والسيطرة عليها فتوجه نحوها، واحتل في طريقه بلاد فارس<sup>(116)</sup>. وقد انتهت الخلافة العباسية في بغداد، مركز العلم والحضارة وعاصمة الدولة الإسلامية آنذاك بدخول التتار عام (656هـ)، "وانقضت الخلافة من بغداد وزالت أيامهم من تلك البلاد، وخربت بغداد الخراب العظيم، وأحرقت كتب العلم التي كانت بها من سائر العلوم والفنون التي ما كانت في الدنيا"<sup>(117)</sup>.

وقد صور الشعراء نكبة بغداد، وما حلّ بها من خراب، فوقفوا يجسدون اللوعة والأسى، وقد عانوا من أحوالها، وأخذوا في بكائها وندبها.

قال الشيخ تقي الدين إسماعيل بن أبي اليسر التنوخي (ت 672هـ):

[البسيط]

لسائل الدّمع عن بغداد أخباراً      فما وقوفك والأحباب قد ساروا  
يا زائرين إلى الزوراء لا تفدوا      فما بذاك الحمى والدار ديّار  
تأجّ الخليفة والرّبّع الذي شرفّت      به المعالم قد عفاه إقفار  
أضحى لعطف البلى في ربّعه أثرٌ      وللدموع على الأثار آثار  
يا نار قلبِي من نار لحربٍ وغي      شبّت عليه ووافى الرّبّع إعمار  
علا الصليب على أعلى منابرها      وقام بالأمر من يحويه زنار<sup>(118)</sup>

فضلاً عن ذلك تأسفوا على كنوزها التي أصبحت نهياً رخيصاً بيد طائفة ظالمة حاقدة لا رحمة في قلوب أفرادها ولا عطف.

قال تقي الدين بن أبي اليسر:  
 وكم بُدور على البدرية انخسفت  
 وكم ذخائر أضحت وهي شائعة  
 وكم حدود أقيمت من سيوفهم  
 ناديت والسببي مهتوك يجبرهم  
 ولم يعد لبـدور منه إيدار  
 من النهاب وقد حازته كفار  
 على الرقاب وحطت فيه أوزار  
 إلى السفاح من الأعداء دعار<sup>(119)</sup>

وفي لوحة أخرى من القصيدة، يرسم تقي الدين بن أبي اليسر، بأدواته الشعرية آثار القتل والأسر والسلب والنهب، الذي انتشر في بغداد، برعاية التتار في صورة حزينة مظلمة موحية لآثار الظلم، الذي وقع على بني العباس؛ إذ صور سوق آل النبي وأهل العلم للموت، فمن بعدهم يتمنى العيش والبقاء، فلا أمل للحياة دونهم، بقوله:

[البيسط]  
 وهم يساقون للموت الذي شهدوا  
 يا للرجال بأحداث تحدثنا  
 من بعد أسر بني العباس كلهم  
 ما راق لي قط شيء بعد بيئهم  
 لم يبق للدين والدنيا وقد ذهبوا  
 إن القيامة في بغداد قد وجدت  
 آل النبي وأهل العلم قد سبوا  
 ما كنت أمل أن أبقى وقد ذهبوا  
 النار يارب من هذا ولا العار  
 بما غدا فيه إعدار وإنذار  
 فلا أنار لوجه الصبح إسفار  
 إلا أحاديث أرويهما وأتعار  
 سوق لمجد وقد بانوا وقد باروا  
 وحدها حين للإقبال إديار  
 فمن ترى بعدهم تحويه أمصار  
 لكن أبى دون ما اختار أقدار<sup>(120)</sup>

وقد صور الشعراء مأساة بغداد، وعبروا عن مشاعرهم الحزينة، "وصوروا الجرائم التي اقترفتها المغول في بغداد من قتل، ونهب، وسبي، وتدمير، ووصفوا ما حل ببني العباس فيها، وتحدثوا عن أحلاف المغول وما ارتكبه فيها من فضائح"<sup>(121)</sup>. هذا وقد صور الشاعر شمس الدين الكوفي الواعظ (ت 675هـ) أحداث بغداد المروعة، بقوله:

[البيسط]  
 بانوا ولي أدمع في الخد تشبتك  
 يا نكبة ما نجا من صرفها أحد  
 ولوعة في مجال الصدر تعترك  
 من الورى فاستوى المملوك والملك<sup>(122)</sup>

أما المدن الشامية فقد صور الشاعر المملوكي اجتياح المغول لحواضرها، وقد ارتكب فيها هولاً (ت 664هـ) أعمالاً وحشية، "فإنه لا زال<sup>(123)</sup> يأخذ بلدًا بعد أخرى إلى أن استولى على حلب والشام"<sup>(124)</sup>. ومن الملاحظ أن الشام قد سقطت للمرة الأولى عام (658هـ)، أما المرة الثانية التي سقطت فيها الشام، فقد كان ذلك في عام (699هـ)<sup>(125)</sup>.

ولا شك كان من أهم الشعراء في عصر المماليك الذي صور الخراب ابن العديم (ت 660هـ)، فقد تأسف على تلك الحوادث التي نزلت بحلب قائلاً:

[الطويل]  
 هو الدهر ما تبنيه كفاك يهدم  
 أباد ملوك الأرض كسرى وقيصراً  
 وإن رُميت إنصافاً لديه فيظلم  
 وأصمت لدى فرسانها منه أسهم  
 لهم أئراً من بعدهم وهم هم  
 ومملك بني العباس زال ولم يدع

إلى أن يقول:

وعن حاسب ما شئت قل من عجائب  
 فيالك من يوم شديد لغامه  
 أحل بها يا صاح إن كنت تعلم  
 وقد أصبحت فيه المساجد تهدم<sup>(126)</sup>

ولابن العديم، لما مرّت به التّار على حلب وهي خاويةٌ على عُروشها وقد تهدّمت والنّيران بها تعمل، فقال:

يَعِزُّ عَلَيْنَا أَنْ نَرَى رَبْعَكُمْ يَبْلَى      وكانت به آياتُ حُسْنِكُمْ تَنْلَى [الطويل]  
(127)

وفي سقوط دمشق وخرابها على أيدي التتار، قال علاء الدين البهائي الغزولي (ت 815 هـ):

[الكامل]

أعرو سنا لك أسوة بحماتنا      في ذا المصائب فأنتما أختان  
غابت بدور الحسن عن هالاتها      فاستبدلت من عزها بهوان  
ناحت نواعير الرياض لقدمهم      فكأنها الأفلاك في الدوران (128)

ومعنى هذا أن الشاعر المملوكي صور لوعته لتلك المدن التي سقطت بيد الأعداء؛ إذ هجرها وقد عصّت على أنياب الحرب بثغرها، شائبا من أهوال برّها وبحرها، مصورا الشوق ممتزجا مع البكاء، واصفا مرارة الهجر لتلك المدن، وقد عبر ابن حُجّة الحموي (ت 837 هـ) عن شوقه لطرابلس الشام بلغ تعبير؛ إذ يقول:

بِوَادِي حِمَاةِ الشَّامِ مِنْ أَيْمَنِ الشَّطِّ      [الطويل]  
بِلَادٍ إِذَا مَا دُقْتُ كَوُتْرَ مَانِهَا      وَحَقَّكَ تَطْوِي شِقَّةَ الْهَمِّ بِالْبَسْطِ  
أَهْيَمُ كَأَنِّي قَدْ تَمَلُّتُ بِالسَّفْطِ

\*\*\*

سَقَى سَفْحَهَا إِنْ قَلَّ دَمْعِي سَحَابَةً      مطنّبة بالدّعْمِ مُنْهَلَةً النَّقْطِ

\*\*\*

منازلُ أحبّابي ومُنْبِت شُعْبَتِي      وَأُوطَانُ أُوطَارِي بِهَا وَرِضَا سُخْطِي  
نَعْمْتُ بِهَا دَهْرًا وَلَكِنْ سُلْبَتُهُ      بِرَغْمِي وَهَذَا الدَّهْرُ يَسْأَلُ مَا يُعْطِي  
وقد جاء شَرْطُ الْبَيْنِ أَنِّي أَغِيبُ عَنْ      حَمَاهَا لَقَدْ أَوْفَى فُؤَادِي بِالشَّرْطِ

\*\*\*

وقد صار يمشي الهَمّ نحوِي بِسُرْعَةٍ      فَيَا لَيْتَهُ فِي مَشْيِهِ يُبْطِئِي (129) (130)

وهكذا فقد شهد عصر المماليك اضمحلال المدن والممالك، "ومصارع أهلها أمام الغازين، ورأوا كيف تندك العروش، وتتقوض الحضارات، وتغيب شمس العز والجلال. فقد اجتاحت المآسي الفاجعة التي خلفتها تلك الحروب كل بيت، وزلزلت كل قلب، وعرف الإنسان العربي أنه مهدد بداره، وأبصر بعين الغد مصيرا أسود لا بد منه" (131). ولم يقتصر الأمر على تصوير خراب المدن الشامية من قبل التتار حسب، فالإسكندرية هي الأخرى قد جاءت الأخبار في عام (767 هـ)، بأن الصليبيين (الفرنج) قد هجموا على ثغرها "في سبعين مركبا من الأغرّة الحربية، وهي مشحونة بالرجال والسلاح، وقد ملكوا الثغر... وقد لعب عساكر الفرنج في أهل المدينة بالسيف، واستشهد خلق كثير من المسلمين، وهلك من الناس ما لا يُحصى عددهم في الإزدحام عند عبور باب المدينة" (132).

وتعدّ هذه الحادثة من أشدّ الحوادث على المسلمين، وفي ذلك فقد صورها الشيخ شهاب الدين ابن أبي حجلة (ت 776 هـ)، بقوله:

ألا في سبيل الله ما حلّ بالثغر      [الطويل]  
أتاهما من الإفرنج سبعون مركبا      على فرقة الإسلام من عصابة الكفر  
وصيرّ منها أزرق البحر أسودا      وحاطت بها الفرسان في البرّ والبحر  
أتوا أهلها هجما على حين غفلة      بنو الأصفر الباغون بالبيض والسمر  
فكم من فقير عاش فيها من الغنى      وباعهم في الحرب يقصر عن فتر  
نثرت دموعي يوم فرط نظامهم      وكم من غني مات فيها من الفقر  
فيها لبيت شعري من يبلغهم نثري (133)



وفي السِّبَاق نفسه، فقد بكى ابن إياس الحنفي، على ما وقع من الحوادث بالديار المصرية؛ إذ أطاح بحكمها السلطان العثماني سليم الأول عام (923هـ)، قائلاً:

نوحوا على مصر لأمر قد جرى  
زالت عساكرها من الأتراك في  
من حادث عمّت مصيبتة الوري  
غمض العيون كأنها سنة الكرى  
حلق الذقون ولبس طرطور يُرى

\*\*\*

لهفي على الأبواب كيف تكسّرت  
وخلت أماكنها وصاحبها سرا

\*\*\*

لهفي على شيخو وجامعه الذي  
درست معالمه بحرق صار من  
قد كان للصلوات مجتمع الوري  
بعد التزخرف والرياضة أغبرا  
أخلت حوائيت به مما جرى

\*\*\*

زالت محاسن مصر من أشياء قد  
لهفي على الأمراء كيف تشبّثوا  
كانت بها تزهو على كل القرى  
وخلت منازلهم وعادت مقفراً<sup>(134)</sup>

### الخاتمة ونتائج البحث:

- والآن وقد شارف البحث على الانتهاء بعد هذه الرحلة مع عناصر صورة الموت في الشَّعر المملوكي، فقد توصل الباحث إلى نتائج عدة، يمكن تلخيصها على النحو الآتي:
- إن الشاعر شاهد عصره؛ إذ ينقل من خلال ألفاظه وأفكاره لصورة عصره، بكل ما يضم من جوانب سياسية ودينية وفكرية وثقافية، لذا كان للشاعر المملوكي أن يقف عند عناصر صورة الموت، ومنها العناصر المادية الحسيّة.
  - استأثرت صورة الموت باهتمام شعراء العصر المملوكي؛ إذ اعتمدوا على الأسلوب الفني التصويري في بناء صورهم الشعرية، فضلاً عن نقل أفكارهم ومشاعرهم سواء أكان ذلك بالأساليب البيانية أم بالأسلوب الوصفي، فجاءت صورهم مادية حسية تنبض بالحوية والحركة، مجسّدة عصرهم في بيئاته المختلفة.
  - يتبين من البحث أن أغلب الصّور، التي جاء بها الشعراء تقليدية لا جديد فيها، سوى بعض الصّور التي جاءت هنا وهناك.
  - حظيت صورة الفَقْد الحسيّة باهتمام الشاعر المملوكي؛ إذ جسّد الشاعر فقد المرء، مصوراً مكانته في أعماق النفس، وواصفاً شدة حزنه وتأسفه.
  - تجلّت صورة الفَقْر الحسيّة في شعرهم، وقد أضحى الفقر العنوان الرئيس للشعراء؛ لأن الفقر يقود إلى الفاقة والعوز، وهو بحد ذاته موت معنوي ان لم يؤدي إلى الموت الجسدي.
  - رسم الشاعر المملوكي صورة القبر الحسيّة، فتناول حال المرء مهما امتدّ به الأمد وطال لا بد يوماً من أن يفارق الحياة، والقبر من الألفاظ الدالة على الموت؛ إذ يمثل مرحلة أخرى للميت بعد موته.
  - إن حتمية المشيب قد أبكت الشاعر المملوكي لفقد الشباب، فتيقن من ضيفه الشيب بقرب النهاية للحياة؛ لأن الشيب يرتبط في وجدان المرء بالموت، وهو نذير الموت، ومن ثمّ استحالة عودة الشباب للمرء.
  - صوّر الشاعر المملوكي مأساة الخراب والجرائم التي اقترفتها الأعداء في بغداد والشام ومصر، فعبر عن مشاعره الحزينة ولوعته لتلك المدن والممالك التي سقطت بيد الأعداء، فالخراب موت كل شيء، موت الإنسان وموت عناصر الطبيعة.

### الهوامش:

1. ابن منظور(ت711هـ): لسان العرب، ج8/ مادة(موت).
2. صليبا، جميل: المعجم الفلسفي، ج2/ ص441.
3. ينظر: الهيب، أحمد فوزي:ثنائية الموت والحياة في شعر أبي فراس الحمداني320-375هـ، ص219.
4. بدوي، عبدالرحمن: الموت والعبقريّة، ص18.
5. ينظر: عبدالخالق، أحمد محمد: قلق الموت، ص12.
6. ينظر: إبراهيم، زكريا: مشكلة الحياة، ص160.
7. بدوي، عبدالرحمن: الموت والعبقريّة، ص17.
8. عبدالخالق، أحمد محمد: قلق الموت، ص38.
9. ينظر: إبراهيم، زكريا: مشكلة الحياة، ص161.

10. إبراهيم، زكريا: مشكلة الإنسان، ص 115.
11. البطل، علي: الصورة في الشعر العربي حتى آخر القرن الثاني الهجري، ص 30.
12. الفراهيدي، الخليل بن أحمد: كتاب العين، ج 3 / مادة (فقد).
13. الجوهري، إسماعيل بن حماد: الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، ج 2 / مادة (فقد).
14. ابن منظور: لسان العرب، ج 7 / مادة (فقد). وينظر: الفيروزآبادي، مجد الدين محمد بن يعقوب: القاموس المحيط، مادة (فقد). وينظر: الزبيدي، مَرْتَضَى: تاج العروس من جواهر القاموس، ج 8 / مادة (ف ق د).
15. مَجْمَع اللغة العربية بمصر: المعجم الوسيط، مادة (فقد).
16. محمود، مصطفى: لغز الموت، ص 10.
17. إبراهيم، زكريا: مشكلة الحياة، ص 174.
18. ينظر: محمود، مصطفى: ماذا وراء بوابة الموت؟، ص 23.
19. المُشَدَّة، سيف الدين: الديوان، ص 95.
20. عبد الرحيم، رائد مصطفى حسن: فن الرثاء في الشعر العربي في العصر المملوكي الأول، ص 24.
21. الأنصاري، الصَّاحِب شرف الدين: الديوان، ص 310 – 311.
22. التَّلَعْفَرِي، شهاب الدين: الديوان، ص 354.
23. ابن الظَّهير: الديوان، ص 161 – 162.
24. الجَزَّار، أبو الحسين: الديوان، ص 41.
25. ابن تميم، مُجِير الدين: الديوان، ص 25.
26. ابن التَّقِيب: الديوان، ص 161.
27. البُوصِيرِي: الديوان، ص 33 – 34.
28. العزّازي، شهاب الدين: الديوان، ص 67.
29. الحَلِي، صفي الدين: الديوان، ص 284.
30. الصَّفدي، صلاح الدين: جنان الجناس، ص 113.
31. ابن نباتة: الديوان، ص 516.
32. ابن إياس: بدائع الزهور في وقائع الدهور، ج 1 / ق 2، ص 472.
33. ابن حجر: الديوان، ص 114 – 115.
34. السيوطي، جلال الدين: حسن المحاضرة في أخبار مصر والقاهرة، ج 1 / ص 310. وينظر: ابن إياس: بدائع الزهور في وقائع الدهور، ج 2 / ص 269.
35. السيوطي، جلال الدين: حسن المحاضرة في أخبار مصر والقاهرة، ج 1 / ص 310. وينظر: ابن إياس: بدائع الزهور في وقائع الدهور، ج 2 / ص 269.
36. خلل عروضي في عجز البيت الشعري.
37. ابن مليك: ديوان النفاحات الأدبية من الزهرات الحموية، ص 261.
38. النبأ: 40.
39. ابن إياس: بدائع الزهور في وقائع الدهور، ج 4 / ص 71.
40. الفراهيدي، الخليل بن أحمد: كتاب العين، ج 3 / مادة (فقر).
41. الجوهري، إسماعيل بن حماد: الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، ج 2 / مادة (فقر).
42. ابن منظور: لسان العرب، ج 7 / مادة (فقر). وينظر: الفيروزآبادي، مجد الدين محمد بن يعقوب: القاموس المحيط، مادة (فقر). وينظر: الزبيدي، مَرْتَضَى: تاج العروس من جواهر القاموس، ج 13 / مادة (ف ق ر). وينظر: مَجْمَع اللغة العربية بمصر: المعجم الوسيط، مادة (فقر).
43. الجرجاني، الشريف علي بن محمد: كتاب التعريفات، ص 138.
44. ينظر: سلام، محمد زغلول: الأدب في العصر المملوكي، ج 1 / ص 95 – 96.
45. ينظر: محمد، محمود سالم: أدب الدول المتتابعة- الدولة المملوكية، ص 136. وينظر: الحسين، قصي: الأدب العربي في العصرين المملوكي والعثماني، ص 63.
46. ابن إياس: بدائع الزهور في وقائع الدهور، ج 1 / ق 1، ص 390 – 391.
47. الأيوبي، ياسين: آفاق الشعر العربي في العصر المملوكي، ص 307.
48. المُشَدَّة، سيف الدين: الديوان، ص 62.
49. الجَزَّار، أبو الحسين: الديوان، ص 25.
50. نفسه، ص 55.
51. نفسه، ص 65.
52. ابن تميم، مُجِير الدين: الديوان، ص 57.
53. ابن التَّقِيب: الديوان، ص 96.
54. البُوصِيرِي: الديوان، ص 106.

55. ينظر: أبو علي، نبيل خالد: البوصيري شاهد على العصر المملوكي ، ص 56.
56. البوصيري: الديوان ، ص 106.
57. نفسه، ص 106.
58. ابن دقيق: حياته وديوانه، ص 158.
59. ابن دانيال، شمس الدين محمد: المختار من شعر ابن دانيال، ص 249.
60. الحلّي، صفي الدين: الديوان، ص 480.
61. ابن نباتة: الديوان، ص 426.
62. نفسه، ص 80.
63. ابن مليك: ديوان النفحات الأدبية من الزهراء الحموية، ص 103.
64. الفراهيدي، الخليل بن أحمد: كتاب العين، ج 3 / مادة (قبر).
65. الجوهرى، إسماعيل بن حمّاد: الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، ج 2 / مادة (قبر).
66. ابن منظور: لسان العرب، ج 7 / مادة (قبر). وينظر: الفيروزآبادي، مجد الدين محمد بن يعقوب: القاموس المحيط، مادة (قبر). وينظر: الزبيدي، مُرتضى: تاج العروس من جواهر القاموس، ج 13 / مادة (ق ب ر). وينظر: مَجْمَع اللغة العربية بمصر: المعجم الوسيط، مادة (قبر).
67. التكاثر: 1 – 2.
68. الشعراوي، محمد متولي: الحياة والموت ، ص 49.
69. النور: 39.
70. ابن الظهير: الديوان، ص 77.
71. الجَزَار، أبو الحسين: الديوان، ص 53.
72. ابن تميم، مُجير الدين: الديوان، ص 14.
73. أبو العتاهية (ت 211هـ): الديوان، ص 186.
74. السَّروجي، تقّي الدين: الديوان، ص 56.
75. العزازي، شهاب الدين: الديوان ، ص 187.
76. ابن الوردي، عمر بن مظفر: الديوان، ص 186.
77. الحلّي، صفي الدين: الديوان ، ص 284.
78. ابن نباتة: الديوان ، ص 466. وينظر: نفسه، ص 461.
79. عبد الرحيم، راند مصطفى حسن: فن الرثاء في الشعر العربي في العصر المملوكي الأول ، ص 153.
80. ابن حجر: الديوان، ص 109.
81. ابن سؤدون: ديوان نُزْهة النفوس ومُضحك العيوس، ص 83.
82. ابن إياس: بدائع الزهور في وقائع الدهور، ج 2 / ص 402.
83. ابن مليك: ديوان النفحات الأدبية من الزهراء الحموية، ص 301.
84. ابن إياس: بدائع الزهور في وقائع الدهور، ج 3 / ص 403.
85. ينظر: عبد الرحيم، راند مصطفى حسن: فن الرثاء في الشعر العربي في العصر المملوكي الأول، ص 152 – 155.
86. الفراهيدي، الخليل بن أحمد: كتاب العين، ج 2 / مادة (شيب).
87. الجوهرى، إسماعيل بن حمّاد: الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، ج 1 / مادة (شيب).
88. ابن منظور: لسان العرب ، ج 5 / مادة (شيب). وينظر: الفيروزآبادي، مجد الدين محمد بن يعقوب: القاموس المحيط، مادة (شيب). وينظر: الزبيدي، مُرتضى: تاج العروس من جواهر القاموس، ج 3 / مادة (ش ي ب). وينظر: مَجْمَع اللغة العربية بمصر: المعجم الوسيط، مادة (شيب).
89. الأبيشي، شهاب الدّين محمد (ت 850هـ): المُستطرف في كُلِّ فنٍّ مُستظرف، ج 2 / ص 6.
90. النعيمي، أحمد إسماعيل: الشيب وبكاء الشباب في الشعر الجاهلي، ج 2 / ص 162.
91. ينظر: محجوب، فاطمة: قضية الزمن في الشعر العربي الشباب والمشيبي، ص 43 – 44.
92. المُشيد، سيف الدين: الديوان، ص 123.
93. الأنصاري، الصّاحب شرف الدّين: الديوان، ص 454.
94. التَّلَعْرِيّ، شهاب الدين: الديوان، ص 170.
95. ابن لؤلؤ، يوسف: الديوان، ص 111.
96. ابن تميم، مُجير الدّين: الديوان، ص 52. وينظر: نفسه، ص 14، 19، 59، 68.
97. ابن النّقيب: الديوان، ص 140. وينظر: نفسه، ص 65، 67، 75، 115، 151، 185.
98. الشّاب الطّريف: الديوان ، ص 336.
99. البوصيري: الديوان ، ص 66. وينظر: نفسه، ص 36، 42، 166، 193.
100. الفحل، علقمة بن عبدة (ت 20 ق.هـ): الديوان، ص 25.
101. العزازي، شهاب الدين: الديوان، ص 315. وينظر: نفسه، ص 321.

102. ابن دانيال، شمس الدين محمد: المختار من شعر ابن دانيال، ص 207. وينظر: نفسه، ص 165، 181، 208، 212.  
 103. ابن حجر: الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، ج 2 / ص 193.  
 104. نفسه، ج 4 / ص 277.  
 105. ابن الوردي، عمر بن مظفر: الديوان، ص 159. وينظر: نفسه، ص 132، 225، 232، 234، 249.  
 106. الحلي، صفي الدين: الديوان، ص 165. وينظر: نفسه، ص 70، 168، 178، 181، 222، 234، 290، 401، 405، 422، 453، 507.  
 107. الصقدي، صلاح الدين: الغيث المسجم في شرح لامية العجم، ج 1 / ص 124.  
 108. ابن نباتة: الديوان، ص 23. وينظر: نفسه، ص 28، 37، 43، 53، 59، 63، 66، 74، 90، 92، 104، 168، 180، 194، 195، 196، 200، 210، 225، 266، 293.  
 109. الصقدي، صلاح الدين: الحان السواجع بين البادئ والمراجع، ج 2 / ص 177.  
 110. ابن حجر: الديوان، ص 132.  
 111. أبو العتاهية: الديوان، ص 23.  
 112. ابن مليك: ديوان النفحات الأدبية من الزهرات الحموية، ص 229.  
 113. الفراهيدي، الخليل بن أحمد: كتاب العين، ج 1 / مادة (خرب).  
 114. الجوهرى، إسماعيل بن حماد: الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، ج 1 / مادة (خرب).  
 115. ابن منظور: لسان العرب، ج 3 / مادة (خرب). وينظر: الفيروزآبادي، مجد الدين محمد بن يعقوب: القاموس المحيط، مادة (خرب). وينظر: الزبيدي، مُرتضى: تاج العروس من جواهر القاموس، ج 2 / مادة (خ ر ب). وينظر: مَجْمَع اللغة العربية بمصر: المعجم الوسيط، مادة (خرب).  
 116. رشيد، ناظم: في أدب العصور المتأخرة، ص 9.  
 117. ابن تغري: النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، ج 7 / ص 47 – 48.  
 118. نفسه، ج 7 / ص 48.  
 119. نفسه، ج 7 / ص 48.  
 120. نفسه، ج 7 / ص 49.  
 121. عبد الرحيم، راند مصطفى حسن: فن الرثاء في الشعر العربي في العصر المملوكي الأول، ص 204.  
 122. ابن الفوطي: الحوادث الجامعة والتجارب النافعة في المائة السابعة، ص 334.  
 123. كذا في النص، وصوابه: ما زال.  
 124. ابن تغري: النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، ج 7 / ص 51.  
 125. ينظر: عبد الرحيم، راند مصطفى حسن: فن الرثاء في الشعر العربي في العصر المملوكي الأول، ص 219 – 220.  
 126. ابن الوردي، عمر بن مظفر: تنمة المختصر في أخبار البشر المسمى تاريخ ابن الوردي، ج 2 / ص 208.  
 127. ابن تغري: النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، ج 7 / ص 180.  
 128. الغزولي، علاء الدين البهائي: مطالع البدر في منازل السرور، ج 1 / ص 52.  
 129. خلل عروضي في عجز البيت الشعري.  
 130. ابن حجة: ثمرات الأوراق، ص 351 – 352.  
 131. أمين، بكرى شيخ: مطالعات في الشعر المملوكي والعثماني، ص 108.  
 132. ابن إياس: بدائع الزهور في وقائع الدهور، ج 1 / ق 2، ص 21 – 22.  
 133. نفسه، ج 1 / ق 2، ص 24.  
 134. نفسه، ج 5 / ص 198 – 199.

### مصادر البحث ومراجعة

#### - القرآن الكريم.

- 1- إبراهيم، زكريا: مشكلة الإنسان، لاط، مكتبة مصر – الفجالة، القاهرة، دت.  
 2- \_\_\_\_\_: مشكلة الحياة، لاط، مكتبة مصر – الفجالة، القاهرة، 1971م.  
 3- الأبيشي، شهاب الدين محمد(850هـ): المُستطرف في كُلِّ فنٍّ مُستطرف، لاط، منشورات دار ومكتبة الحياة، بيروت، 2011م.  
 4- ابن إياس الحنفي(ت 930هـ): بدائع الزهور في وقائع الدهور، حقّقها وكتب لها المقدمة محمد مصطفى، سلسلة النشرات الإسلامية(5)، توزيع مؤسسة الريان، المعهد الألماني للأبحاث الشرقية، بيروت، 2010م.  
 5- ابن تغري بردي(ت 874هـ): النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، قدّم له وعلق عليه محمد حسين شمس الدين، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1992م.  
 6- ابن تميم، مُجير الدين (ت 684هـ) : الديوان، حققه هلال ناجي، وناظم رشيد، ط1، عالم الكتب، بيروت، 1999م.  
 7- ابن حجة الحموي(ت 837هـ): ثمرات الأوراق، تحقيق وتعليق محمد أبو الفضل إبراهيم، ط3، دار الجيل، بيروت، 1997م.

- 8- ابن حجر العسقلاني(ت852هـ): الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، ضبطه وصححه عبدالوارث محمد علي، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1997م.
- 9- \_\_\_\_\_: الديوان ، لا بط ، حيدر آباد الدكن – الهند، 1962م.
- 10- ابن دانيال، شمس الدين محمد (ت 710هـ): المختار من شعر ابن دانيال، اختيار صلاح الدين خليل بن أبيك الصّفي، حققه وعلق عليه واستدرك محمد نايف الدليمي، لا بط، مكتبة بسام، الموصل- العراق، 1979م.
- 11- ابن دقيق العيد(ت702هـ): حياته وديوانه، جمع ودراسة علي صافي حسين، لا بط، دار المعارف، مصر، 1960م.
- 12- ابن سودون البشباغوي(ت868هـ): ديوان نُزهة النفوس ومُضحك العبوس، تحقيق منال محرم عبدالمجيد، مراجعة حسين نصار، ط2، دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، 2010م.
- 13- ابن الظهير الإبلي(ت677هـ) : الديوان ، جمع وتحقيق وشرح ودراسة عبدالرازق حوزي، لا بط، مكتبة الآداب، القاهرة ، 2006م.
- 14- ابن فضل الله العمري(ت749هـ): مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، تحقيق محمد عجاج الخطيب وآخرين، لا بط، دار الكتب الوطنية، أبو ظبي، 2004م.
- 15- ابن الفوطي البغدادي (ت723هـ): الحوادث الجامعة والتجارب النافعة في المائة السابعة، تحقيق مصطفى جواد، لا بط، مطبعة الفرات، بغداد، 1923م.
- 16- ابن لؤلؤ الذهبي، يوسف(ت680هـ): الديوان، جمع وتحقيق ودراسة عباس هاني الجراخ، ط3، منشورات دار الفرات للطباعة، بابل – العراق، 2008م.
- 17- ابن مليك الحموي(ت917هـ): ديوان النفاتح الأدبية من الزهرات الحموية، تقديم وتحقيق إسرائ أحمد فوزي الهيب، لا بط، وزارة الثقافة- الهيئة العامة السورية للكتاب، دمشق، 2010م.
- 18- ابن منظور (ت 711هـ): لسان العرب، طبعة جديدة مصححة اعتنى بتصحيحها أمين محمد عبدالوهاب، ومحمد الصادق العبيدي، ط1، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 2010م.
- 19- ابن نباتة المصري(ت768هـ): الديوان ، لا بط، دار إحياء التراث العربي، بيروت، د.ت.
- 20- ابن النقيب الفقيسي (ت 687هـ): الديوان، جمع وتحقيق ودراسة عباس هاني الجراخ، ط1، دار تموز للطباعة والنشر، دمشق، 2012م.
- 21- ابن الوردي، عمر بن مظفر(ت749هـ): تنمة المختصر في أخبار البشر المسمى تاريخ ابن الوردي، لا بط، دار الكتب العلمية، بيروت، 1996م.
- 22- \_\_\_\_\_: الديوان، تحقيق عبدالحميد هندواي، ط1، دار الآفاق العربية، القاهرة ، 2006م.
- 23- أبو العتاهية (ت 211هـ): الديوان، ط4، دار الكتب العلمية، بيروت، 2004م.
- 24- أبو علي، نبيل خالد: البوصيري شاهد على العصر المملوكي، ط4، دار المقداد للطباعة، غزة- فلسطين، 2005م.
- 25- أمين، بكري شيخ: مُطالعات في الشعر المملوكي والعثماني، لا بط، دار العلم للملايين، بيروت، د.ت.
- 26- الأنصاري، صاحب شرف الدين(ت662هـ): الديوان، عُنِي بتحقيقه عمر موسى باشا، لا بط، المطبعة الهاشمية، مطبوعات مجمع اللغة العربية، دمشق، 1967م.
- 27- الأيوبي، ياسين: آفاق الشعر العربي في العصر المملوكي، ط1، دار جروس برس، طرابلس- لبنان، 1995م.
- 28- بدوي، عبدالرحمن: الموت والعبقرية، لا بط، وكالة المطبوعات – الكويت، ودار القلم – بيروت، 1945م.
- 29- البطل، علي: الصّورة في الشعر العربي حتى آخر القرن الثاني الهجري، ط1، دار الأندلس، بيروت، 1980م.
- 30- البوصيري(ت696هـ): الديوان، قدّم له وشرحه أحمد حسن بسبح، ط2، دار الكتب العلمية، بيروت، 2005م.
- 31- التلعفريّ، شهاب الدين(ت675هـ): الديوان، حققه وقَدّم له رضا رجب، ط2، دار الينابيع، دمشق، 2004م.
- 32- الجرجاني، الشريف علي بن محمد(ت816هـ): كتاب التعريفات، ط1، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 2003م.
- 33- الجزّار، أبو الحسين(ت679هـ): الديوان، تحقيق وتقديم ودراسة محمد زغول سلام، لا بط، منشأة المعارف، الإسكندرية – مصر، د.ت.
- 34- الجوهرى، إسماعيل بن حمّاد(ت393هـ): الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، تحقيق احمد عبدالغفور عطار، ط4، دار العلم للملايين، بيروت، 1990م.
- 35- الحسين، قصي: الأدب العربي في العصرين المملوكي والعثماني، ط1، المؤسسة الحديثة للكتاب، بيروت، 2011م.
- 36- الحليّ، صفي الدين(ت750هـ): الديوان، شرحه وضبط نصوصه وقَدّم له عمر فاروق الطّباع، ط1، شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم، بيروت، 1997م.
- 37- رشيد، ناظم : في أدب العصور المتأخرة، لا بط، منشورات مكتبة بسام، الموصل – العراق، 1985م.
- 38- الزبّيدي، مُرتضى(ت1205هـ): تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق مجموعة من المحققين، لا بط، سلسلة التراث العربي تصدرها وزارة الإعلام، الكويت، 1993م.
- 39- السّروجي، تقي الدين(ت693هـ): الديوان، عُنِي بجمعه وتحقيقه ودراسته عباس هاني الجراخ، ط1، دار صادر، بيروت، 2014م.
- 40- سلام، محمد زغول: الأدب في العصر المملوكي، ط1، منشأة المعارف، الإسكندرية – مصر، 1999م.

- 41- السيوطي، جلال الدين(ت911هـ): حُسن المحاضرة في أخبار مصر والقاهرة، وضع حواشيه خليل المنصور، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1997م.
- 42- الشاب الظريف (ت688هـ): الديوان، قدّم له وشرحه ووضع فهارسه صلاح الدين الهواري، لا.ط، دار الكتاب العربي، بيروت، 2004م.
- 43- الشعراوي، محمد متولي: الحياة والموت، لا.ط، مكتبة الشعراوي الإسلامية، القاهرة، د.ت.
- 44- الصّفي، صلاح الدين(ت764هـ): جنان الجناس، حققه على نسخة فريدة هلال ناجي، مجلة الذخائر، مجلة فصلية محكمة تُعنى بالآثار والتراث والمخطوطات والوثائق، العدد4، السنة الأولى، بيروت، خريف 1421هـ- 2000م.
- 45- \_\_\_\_\_: الحانّ السواجع بين البادئ والمراجع، تحقيق محمد عايش، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 2007م.
- 46- \_\_\_\_\_: الغيث المسجم في شرح لامية العجم، ط3، دار الكتب العلمية ، بيروت، 2003م.
- 47- صليبا ، جميل: المعجم الفلسفي، لا.ط، دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1982م.
- 48- عبدالخالق، أحمد محمد: قلق الموت، سلسلة عالم المعرفة(111) يصدرها المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، 1987م.
- 49- عبدالرحيم، رائد مصطفى حسن: فن الرثاء في الشّعْر العربي في العصر المملوكي الأول، ط1، دار الرازي للطباعة والنشر والتوزيع، عمّان – الأردن، 2003م.
- 50- العزازي، شهاب الدين(ت710هـ): الديوان، حققه وقدّم له رضا رجب، ط1، دار الينايع، دمشق، 2004م.
- 51- الفحل، علقمة بن عبدة(ت20 ق.هـ) : الديوان، شرح الأعم الشنتمري، تحقيق حنا نصر الحتي، ط1، دار الكتاب العربي، بيروت، 1993م.
- 52- الفراهيدي، الخليل بن أحمد(ت170هـ): كتاب العين، ترتيب وتحقيق عبدالحميد هندأوي ، ط1، دار الكتب العلمية ، بيروت، 2003م.
- 53- الفيروزآبادي، مجد الدين محمد بن يعقوب(ت817هـ): القاموس المحيط، إعداد وتقديم محمد عبدالرحمن المرعشلي، ط2، إحياء التراث العربي، بيروت، 2003م.
- 54- مَجْمَع اللغة العربية بمصر: المعجم الوسيط، ط4، مكتبة الشروق الدولية، القاهرة، 2004م.
- 55- محجوب، فاطمة: قضية الزمن في الشعر العربي الشباب والمشيب، لا.ط، دار المعارف، القاهرة، 1980م.
- 56- محمد، محمود سالم: أدب الدول المتتابعة – الدولة المملوكية، ط1، دار الكتب الوطنية، أبو ظبي، 2012م.
- 57- محمود، مصطفى: لغز الموت، لا.ط، دار العودة، بيروت، 1972م.
- 58- \_\_\_\_\_: ماذا وراء بوابة الموت؟ ، لا.ط، دار أخبار اليوم، القاهرة، 1999م.
- 59- المُشيد، سيف الدين(ت656هـ): الديوان، تحقيق وتقديم محمد زغلول سلام، ط1، منشأة المعارف، الإسكندرية – مصر، د.ت.
- 60- النعيمي ، أحمد إسماعيل: الشيب وبكاء الشباب في الشعر الجاهلي، مجلة المجمع العلمي العراقي، مجلة فصلية، مج 53، بغداد ، 2006م.
- 61- الهيب، أحمد فوزي: ثنائية الموت والحياة في شعر أبي فراس الحمداني320 – 375هـ، مجلة التراث العربي تصدر عن اتحاد الكتاب العرب، العدد 105 ، السنة27، كانون الثاني 2007م.